الفلسفة الوضعية

المنطقية

الدكتورة

أحلام إبراهيم محمد الصياد

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

Scanned with CamScanner

تمهيد

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

الهوامش

شهد القرن العشرين – على أثر انتشار النزعات التحليلية فى مضمار التفكير الرياضى والمنطقى – حركة وضعية محدثة كانت بمثابة امتداد للتجريبية هيوم ، وجون إستيوارت مل ، وماخ .

كما كانت فى الوقت نفسه صدى للاهتمام بالمنهج العلمى على نحو ما عبر عنه كل من بوانكاريه ، وديوهم Dudhem، وأينشتين ، بل نتيجة لازدهار المنطق الرمزى على يد كل من بيانو ، وفريجة ، ورسل ، ووايتهد ... الخ ، وهذه الحركة " الوضعية المحدثة " التى اصطلحنا على تسميتها باسم الوضعية المنطقية أو التجريبية المنطقية ، قد ظهرت – أول ما ظهرت – على يد الفيلسوف النمساوى موريس شليك Schlick (١٨٨٢ – ١٩٣٦) الذى تزعم " حلقة فيينا " عام ١٩٢٩ ، داعيا إلى فلسفة علمية ، تكون مهمتها توحيد العلوم الخاصة ، وتخليص الفلسفة نهائيا من أسباب اللبس والغموض عن طريق اصطناع منهج " التحليل المنطقى " وقد اجتمعت كلمة فلاسفة الوضعية المنطقية (فى الكتاب الذى أصدروه عام ١٩٢٩ تحت عنوان : حلقة فيينا تصورها العلمى للعالم) .

على أن المهمة الوحيدة للفلسفة – عند أصحاب هذه الحركة – هى العمل إلى ربط اللغة بالتجريب ربطا علميا ، وصياغة الواقع الخارجى صياغة علمية .

Scanned with CamScanner

ولا سبيل إلى تحقيق هذه الغاية إلا عن طريق التسليح بأسلحة العلم . " التحليل المنطقى " من أجل صبغ التفكير الفلسفى بخصائص المعرفة العلمية ، ألا وهى : الوضوح و الاتساق الباطنى ، و القابلية للفحص ، والتكافؤ ، والدقة ، والموضوعية .

ولما كانت لغة الحياة العادية مليئة بالغموض والالتباس ، فى حين أن المثل الأعلى للعلم هو الدقة والوضوح ، فإن على الفلسفة أن تحاول التمييز بين الغامض والواضح ، وأن تقوم بتحليل العلاقات الخارجية القائمة بين المعانى ، حتى نتوصل عن هذا الطريق إلى القضاء نهائياً على المشكلات الزائفة ، والمفاهيم الخاوية والقضايا الكاذبة . (١)

ومعنى هذا أن ثمة جانبين هامين فى عملية تطبيق " التحليل المنطقى " جانباً سلبياً ، يتمثل فى استبعاد الأحكام الميتافيزيقية من كافة العلوم الطبيعية ، والرياضية ، والإنسانية ، إن لم نقل من المعرفة البشرية بصفة عامة ؛ وجانباً إيجابياً يتمثل فى توضيح مفاهيم العلوم ومناهجها ، والكشف عن عملية تكون المعرفة البشرية بأسرها ابتداء من معطيات التجربة (٢).

١- مشكلة الفلسفة – دكتور زكريا إبراهيم ص ١٤٦ دار القلم القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
٢- دراسات فى الفلسفة المعاصرة – دكتور زكريا إبراهيم – حـ ١ ص ٢٦٨ الناشر مكتبة مصر

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

الفصل الأول

دراسات حول الوضعية المنطقية

- معنى الوضعية المنطقية وسبب تسميتها بذلك.
- جذور الوضعية المنطقية .
- نشأة الوضعية المنطقية .
- صورة عن دراسة الوضعية المنطقية للغة .

Scanned with CamScanner

معنى الوضعية المنطقية وسبب تسميتها بذلك

أولاً كلمة وضع : تستعمل كلمة وضعى أو وضعية استعمالات مختلفة . فوضعى " يقال على المعانى التى هى من وضع الإنسان أو من وضع الآلة .[١] وقد تستعمل كلمة وضعى أيضا بمعنى الحسى أو التجريبى فى مقابل التأملى أو الخيالى أو الوهمى "[٢]

أما معنى (الوضعية) فقد أطلقت فى الأصل على مذهب " أوجست كونت " الذى قرر أن الفكر الإنسانى لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينهما من علاقات أو قوانين ، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق فى العلوم التجريبية ، وأنه يجب من ثمة العدول عن كل بحث فى العلل والغايات [٣] . فهى وضعية لاهتمامها بما هو موضوع فى الواقع الحسى فالفكر لا يدرك إلا فى ذلك الواقع .

ثانياً : كلمة المنطقية : المنطقية مأخوذة من المنطق وهو ما سمى بعلم الميزان ، وكان القدماء يعتبرونه معيار صحة العلوم فهو وسيلة للوصول إلى العلم الصحيح ، ولكنه تطور فى صور مختلفة منها التجريب وأطلق عليه المنطق الحديث ، والمنطق الرياضى والرمزى .

أما المنطقية المقصودة فى الفلسفة هى : أن تجعل للمنطق مكاناً خاصاً فى الفلسفة بفصله عن سائر العلوم النفسية والعقلية

١- المعجم الفلسفى ، عبد المنعم الحفنى ص ٢٨١ ط الدار الشرقية .
٢- المصدر السابق نفس الصفحة .
٣- المعجم الفلسفى ، مراد وهبه ص ٤٧٢ ط ٣ دار الثقافة الجديدة سنة ١٩٧٩ م .

Scanned with CamScanner

وتقدمه عليها فى الشرف والرتبة ولرد كل الظواهر إلى أسباب منطقية ونفسرها بأسلوب منطقى(١).

ومن هنا كان معنى الوضعية المنطقية مرتبطاً بنوع البحث ، فقد اهتمت بالواقع الحسى وحصرت مصادر المعرفة فى الخبرة والتجربة . ويذكر أصحاب هذه الفلسفة أن سبب التسمية يرجع إلى أن (وضع الأمور فى عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمى ، ولذلك أطلق على النظرية العلمية اسم " الوضعية " .

فإن كان " الوضع " القائم الذى يشغل الباحث عبارة من عبارات اللغة ، أو لفظة من ألفاظها كانت " الوضعية " فى هذه الحالة " وضعية منطقية " ومن ثم كان هذا الاسم " الوضعية المنطقية " مميزاً لطائفة من أصحاب الفكر صمموا على ألا يجاوزا الواقع بنظرهم ، وعلى أن يكون هذا الواقع الذى يختصون به – هو اللغة – الذى يصوغ فيها سائر العلماء علومهم على اختلاف موضوعاتها (٢)

إذن أصحاب هذه الفلسفة " وضعيون poslivists لأنهم يقصرون جهودهم على ما هو موضوع posted فى الواقع الحسى الخارجى وهم مناطقه لأنهم ينظرون إلى هذا الموضوع فى الواقع الحسى من خلال منظور المنطق ، إذ يصوبونه على العبارات التى يضعها العالم فى وصفه هذا الواقع وشرحه ، فيقومون بتحليلها تحليلاً منطقياً يجعلها أكثر دقة وأقل غموضاً

١- المعجم الفلسفى ، عبد المنعم الحفنى ص ٣٣٩ .

٢- نحو فلسفة علمية ، الدكتور زكى نجيب محمد ص ٣ ط ١ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٨ .

Scanned with CamScanner

وابعد عن الالتباس (١) ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول أن وسائل المعرفة فى الوضعية المنطقية ليست إلا التجربة الحسية المعتمدة على ظواهر الواقع التجريبى فهى " اتجاه فلسفى معاصر يقوم على أساس التجربة ، ويعدها المصدر الوحيد للمعرفة ، وليس للعقل من عمل إلا مجرد تنسيق معطياتها وتنظيمها ثم تحولت إلى دراسة تحليلية للغة العلم لتحقيق وحدة مشتركة بين فروع العلم المختلفة (٢)

وبعد أن تعرفنا على سبب تسمية هذه الفلسفة بالوضعية المنطقية ، نتعرف على جذور هذه الفلسفة التى استمدت منها فكرها ، فأى فكر أو مذهب ما هو إلا تراكم لحصيلة معرفية خلال فترات زمنية متعددة ، ولذلك نجد أن الوضعيين يحاولون تلمس هذه الجذور من خلال الفلسفات السابقة عليهم .

١- (ماهى الوضعية) مقال ضمن الكتاب التذكارى ص ٧٢ ، جامعة الكويت سنة ١٩٨٧ .

٢- معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، احمد زكى بدوى ص ٢٢١ مكتبة لبنان بيروت

Scanned with CamScanner

جذور الوضعية المنطقية

الوضعية المنطقية مثل غيرها من الفلسفات لها جذور كانت سبباً فى نشأتها ، وإذا كان بعض الباحثين [١] يقسم أسباب نشأة الفلسفة إلى عاملين مختلفين :

الأول : ما كان نتاج لدوافع دينية أو أخلاقية ويتمثل ذلك فى المذاهب الميتافيزيقية مثل أفلاطون واسبينوزا ، وهيجل ...

والثانى : ما كان نتاج دوافع علمية مثل فلسفة ليبنتز ، ولوك وهيوم .

فإن الوضعية المنطقية تنتمى إلى العامل الثانى .

فالوضعية المنطقية فلسفة علمية ، ولذلك يمكن البحث عن جذورها فى الفلسفات التى جعلت الحواس وسيلة للمعرفة الحقة منذ عصر الطبيعيين فى الفلسفة اليونانية ثم العصور الوسطى ثم العصر الحديث ، الذى تبلورت فيه الفلسفة العلمية المتمثلة في التجريب وأصبحت لها سمات خاصة بها ، ولكن إذا كانت الوضعية المنطقية قد تأثرت بالفلسفة العلمية سواء فى الفلسفات القديمة أو فى فلسفة العصور الوسطى ، فإن التأثير الحقيقى كان للمنطق الحديث الذى وضحت معالمه منذ بيكون الذى وضع أول صياغة منظمة لأسس المنهج التجريبى الحديث فهو هو يعبر عن المذهب الوضعى فى رفضه لفكرة استنباط حقائق الطبيعة الأولية ، ويعتقد أن الفلاسفة لا ينبغى لهم أن يحاولوا الضرب فيما

١- أنظر (ماهى الوضعية) من الكتاب التذكارى ص ٧٧ ـ ٧٩ .

Scanned with CamScanner

وراء حدود الطبيعة [١] .

كذلك ساعد على ظهور الوضعية المنطقية انتشار النزعات التحليلية وازدهار المنطق الرياضى والرمزى ، كذلك الاهتمام المتزايد بالعلم ومنهاجه ، وقد ساعد هذا المناخ على ظهور تلك الحركة فى عشرينات هذا القرن لتعلن نهاية الميتافيزيقا وتصرف النظر إلى الواقع ولا شئ غيره [٢] شأنها شأن المذاهب المادية البحتة سواء بسواء .

ويمكن أن نلتمس الجذور الحقيقية للوضعية المنطقية عند أربعة من الفلاسفة هم : ليبنتز ، هيوم ، كانت ، كونت .

ويحاول دكتور " زكى نجيب محمود " أن يرجع جذور الوضعية المنطقية إلى الفلسفات السابقة عليها خاصة عند هؤلاء الفلاسفة الأربعة ، فيقول (كان " هيوم " بفلسفته التجريبية و " ليبنتز " بمنطقه الذى يفرق به بين حقائق العقل وحقائق الواقع ، و " كانت " بتحليله للعقل وقوله باستحالة الميتافيزيقا التى تتسبط من مبدأ أول ، و " كونت " بمذهبه الوضعى . كان هؤلاء جميعاً جميعاً من الرواد الذين مهدوا الطريق كل من جانبه لكى ينتهى إلى ما انتهى إليه فى القرن العشرين من حركة فلسفية عرفت أول ما عرفت باسم " الوضعية المنطقية " تمييزاً لها من وضعية كونت وغيرها ، وإنما سميت بهذا الاسم لأنها ترفض ما ترفضه

١- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل ، جلال العشرى ، عبد الرشيد صادق ، أشرف عليها زكى نجيب محمود ص ٤٣٠ دار القلم بيروت .

٢- نقد العقل الوضعى ، عاطف أحمد ، تقديم إبراهيم فتحى ص ٤٢ ط١ دار الطليعة بيروت لبنان سنة ١٩٨٠ م .

Scanned with CamScanner

وتقبل ما تقبله على أساس المنطق وحده أى على أساس تحليل العبارات والألفاظ تحليلاً بين حقيقة بنائها ، ولا يزال فريق من أتباع هذه الحركة الفلسفية يحتفظون لها باسمها الأول ، ولكن فريق آخر أخذ يطلق عليها اسم " التجريبية العلمية " وما يدور حول هذا المعنى من أسماء ... ولكن " الوضعية المنطقية " أن تكن قد وجدت فى هؤلاء الرواد مقدمات من حيث وجهة النظر العامة ، إلا أنها قد اعتمدت فى طرائقها التحليلية الخاصة على فريق آخر من علماء الرياضة ، ورجال المنطق ، فهؤلاء هم الذين أمدوها بالأدوات التى تستخدمها فى تحليلها الذى تريده لعبارات اللغة وألفاظها ، تحليلاً انتهى بها إلى مجموعة النتائج التى انتهت إليها حتى اليوم (١).

ويذكر دكتور " زكى نجيب محمود " أن " هيوم " هو أول فيلسوف وضعى بالمعنى الشامل الدقيق ، فقد نبه الأذهان إلى أن التفكير الاستنباطى وحده يستحيل أن يعطى معرفة صحيحة عن العالم الخارجى ، وخالف بذلك الفيلسوف الذى يحصر نفسه فى جدران رأسه ، ويضع لنفسه مبدأ يدعى أنه رآه بالحدس ويرتب عليه نتائج ، ونتائجها عن طريق الاستنباط ويدعى أنه تصور أجزاء من العالم .ويمتاز " هيوم " – عمن قبله – ممن يقولون بعدم كفاية التفكير الاستنباطى فى تحصيل المعرفة عن العالم الواقعى ، بأنه طبق المبدأ بجرأة على النفس الإنسانية . فالوضعية المنطقية ترتد إلى " هيوم " على أساس أنها ترتكز فى نهاية

١- المصدر السابق ص ٥٠ – ٥١ .

Scanned with CamScanner

التحليل على الخبرة الحسية المباشرة ، عندما يكون الحديث عن ظاهرة من ظواهر العالم الخارجى .

ولكن الوضعية المنطقية لا تقتصر على ذلك . بل تمتد إلى مجال آخر : هو تحليل العبارات والألفاظ ، وتفرق بين نوعين من القضايا وهما :

قضايا يقتضى التحقق من صدقها الرجوع إلى عالم الواقع الخارجى ، وقضايا لا يحتاج التحقق من صدقها إلى أكثر من مراجعة الكلام نفسه ليرى إن كان عجز العبارة تكرار لصدرها أم لا . وذلك هو سمة الفلسفة التحليلية المعاصرة .

ويأتى " ليبنتز " ليضع جذور هذه التفرقة . فقد فرق بين ما نسميه بحقائق العقل وحقائق الواقع .

فأما حقائق العقل : فهي أزلية ضرورية . وهذا مبنى على مبدأ عدم التناقض . وقد تكون حقائق العقل واضحة بذاتها ، وقد تكون مستنبطة من حقائق واضحة بذاتها . ويرى " ليبتنز " أن العقل هو مصدر الحقائق الضرورية .

وأما حقائق الواقع : فصدقها عرضى ، بالرغم من أنها حقائق فطرية فى النفس . لأنها لا ترتكز على مبدأ عدم التناقض ، بل ترتكز على مبدأ آخر قال به " ليبتنز " وهو ملاحظة الوقائع الجزئية .

هذه التفرقة بين حقائق العقل وحقائق الواقع تعتبر ركيزة فى بناء الفلسفة التحليلية ، لأن الوضعية المنطقية تفرق بين نوعين من القضايا هما :

Scanned with CamScanner
تم تصوير بـ CamScanner

أولا : القضية التكرارية . وهى يقينية لأن عجزها تكرار لصدرها .

ثانيا : القضية الإخبارية . وسميت بذلك لأنها خبرا جديدا . وهى احتمالية . ويمكن أن يطلق على النوع الأول من القضايا تحليلية ، كما يمكن أن يطلق على النوع الثانى تركيبية (١) .

ويأتى " كانت " ليضع علامة على الطريق فهو رائد من رواد هذه الفلسفة وذلك فى " إصراره على أن تكون (الخبرة) هى المجال الوحيد الذى يمكن للإنسان أن يغترف منه أحكامه العلمية ، أما إذا جاوز الإنسان حدود (خبرته) فقد جاوز بذلك حدوده المشروعة وعرض نفسه للوقوع فى الخطأ " (٢) .

وقد اعتمد الوضعيون المنطقيون على مبدأ " كانت " هذا ، ولكنهم اختلفوا عنه فى نفيهم السمة الإخبارية للقضية الرياضية ويرونها تحصيل حاصل ، وأيضاً جعلهم قضايا العلوم الطبيعية احتمالية الصدق بدل من يقينها ، وأهم نقطة يختلفون فيها عنه ما يتعلق بالميتافيزيقا فهو يرفضها لأنها غير خاضعة للعقل ، أما هم فيرونها غير ذى معنى وأقوالها فارغة (٣) .

أما " أوجست كونت " (١٧٨٩- ١٨٥٧) الفيلسوف الفرنسى فكان له دوراً كبيراً فى تكوين فلسفة الوضعية المنطقية ، فهو من رواد فكر هذه الحركة ، فقد أدى مهمتين :

١- أنظر نحو فلسفة علمية ص ٣٥ - ٣٧ ، نشأة الفلسفة العلمية ، هانز ريشنباخ ص ٢٨

٢- نحو فلسفة علمية ص ٣٨ .

٣- أنظر موقف من الميتافيزيقا ، دكتور ذكى نجيب محمود ص ٥٠ وما بعدها ط ٣ دار الشروق سنة ١٩٨٧ م .

Scanned with CamScanner

الأولى : أنه جعل من العلوم العقلية علوما وضعية .

الثانية : أنه ينظم شتى العلوم بمالها من قوانين ومناهج وموضوعات فى بناء نسق واحد ، وحاول أن يدل ببنانه هذا على أن ما لا يقع فى حدود هذا البناء فليس من العلم بشىء . وانتهى بذلك عصر اللاهوت والفلسفة التأملية ، وأصبح التفكير الوضعى - فى نظر الوضعيين - هو الطريق الصحيح . وهذه هى المحصلة التى لابد للإنسان أن يبلغها فى تطوره الفكرى .

ويمكن القول : بأن وضعية " أوجست كونت " ذات جوانب ثلاثة :

الجانب الأول : هو نظرتها التاريخية عند تقريرها لقيمة الفكرة ، فقد تكون فكرة صالحة لعصر معين ، وغير صالحة لعصر آخر .

والجانب الثانى : هو حصر المعرفة النافعة فى حدود الخبرات التجريبية والعلم الذى بتجاوز هذه الحدود ربما كان خطأ أو صواب ، لكنه على كل حال لا يفيد .

والجانب الثالث : هو التقريب بين هذه الفكرة النظرية وتطبيقها العملى فليس علماً ما لا يمكن استخدامه فى التحكم فى مجرى الطبيعة ومصير الإنسان .

والوضعية المنطقية هنا تتفق مع " كونت " فى أنهما يركزان على الخبرة الحسية وحدها ، ويكون الحديث عن وقائع طبيعية ، ولكنها تختلف عنه اختلافا كبيراً ، فإن وضعية " كونت " تجعل للعبارات التى تتحدث عما وراء الحس معنى ، أما " الوضعية

Scanned with CamScanner

المنطقية " أن ترفض هذه العبارات لأنها خالية من المعنى تماما . فهى ترفضها على أساس منطقى لا على أساس من النفع أو عدمه كما يفعل " كونت ".

هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن إعتماد الوضعية المنطقية على أساس تحليل العبارات تحليلا يجعلها ترفض العبارات التى تتحدث عما وراء الحس على أنها خالية من المعنى دون نظر إلى تاريخها الذى يتسب لها صلاحية فى زمن دون زمن كما يفعل " كونت " الذى ينظر إلى هذه العبارة نظرة تاريخية[1].

وبذلك نجد أن الوضعية المنطقية قد وجدت لها مقدمات فى الفلسفات الوضعية السابقة عليها ، ولكنها إضافة إلى هذا الفكر فقد إستمدت فلسفة التحليل من فريق من علماء الرياضة ، وعلماء المنطق المحدثين ، أمثال " فريجة " و " رسل " .

وقد بدأت فى منتصف القرن التاسع عشر حركتان : أحدهما رياضية والأخرى منطقية .

فوقف بعض علماء الرياضة وقفة طويلة أمام مشكلة العدد ، وهو أساس علمهم الرياضى ، وحاولوا أن يردوه إلى أصوله الأولية البسيطة ، ووجدوا الجذور فى المدركات المنطقية البسيطة

وحاول بعض المناطقة الذين وجدوا أن المنطق الأرسطى يصب إهتمامه على القضايا المكونة من الموضوع والمحمول فقط أن يوسعوا مجال المنطق ليشمل ما يعبر عن علاقات ولا يمكن أن يدخل تحت القضايا ذات المحمول والموضوع ،مثل" إما " و" أو"

١- أنظر المصر السابق ص ٤٣ ـ ٥٠ .

Scanned with CamScanner

و " إذا " ومثل القضايا الرياضية ، فبدأوا البحث فى طريق يبدأ من هذه المدركات لينتهى إلى القضايا الرياضية .

وهكذا إنتهى الفريقان إلى هدف واحد وهو : أن المنطق والرياضة كليهما امتداد لبناء فكرى واحد ، قوامه القضايا التحليلية التى ينبسط بعضها من بعض دون أن تكون دالة على حقائق الوجود الطبيعى . فكان ذلك من ممهدات التحليل الجديد الذى سمى " بالوضعية المنطقية " فاستعملت هذه الطرق المختلفة ، التى نمت وتشعبت فى تحليل العبارات (١) .

---

١. أنظر نحو فلسفة علمية ص ٥١ ـ ٥٧

Scanned with CamScanner
تم تصوير بـ CamScanner

نشأة الوضعية المنطقية وبيان طابعها العلمى

الوضعية المنطقية فى بدايتها فى العشرينات من القرن العشرين لم تظهر كمذهب فلسفى مستقل ، ولكن أصحابها كانوا مجموعة من علماء الرياضة والطبيعة والمنطق جمعهم حب العلم والاهتمام به فكانوا يلتقون لتبادل العلم والمعرفة فكانت فى بدايتها مجرد منتدى يجتمع فيه هؤلاء العلماء والفلاسفة أكثر من كونها حركة فلسفية ، وحين تبين لهم أن لديهم اهتماما مشتركاً بمشكلات معينة ، بدأ أعضاء الجماعة يجتمعون بانتظام لمناقشة هذه المشكلات[1].

وقد عرفت هذه الجماعة باسم جماعة فيينا نسبة إلى مدينة فيينا مقر اجتماعاتهم ، وقد مهدت هذه اللقاءات لنشأة هذه الجماعة حيث كان يجمعهم طابع البحث العلمى ، فقد كان فى جماعة فيينا تقليد تراعيه وهو أن يكون البحث الفلسفى فيها مناصراً للفلسفة التجريبية ومنصرفاً بإهتمامه إلى العلوم الطبيعية ، وبدأ هذا التقليد فى تلك الجماعة منذ أن شغل " أرنست ماخ " كرسى الأستاذية – فى جماعة فيينا – لفلسفة العلوم فى الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٥ وسنة ١٩٠١ ، وحدث سنة ١٩٢٢ أن أسندت الأستاذية فى هذا القسم من الجامعة إلى " مورتس شليك " الذى ولج ميدان الفلسفة

١- اتجاهات فى الفلسفة المعاصرة ، عزمى إسلام ص ١١٠ ط١ وكالة المطبوعات الكويت .

Scanned with CamScanner

من بـــاب العلوم الطبيعية (١).

فقد كان " مورتس شليك " عالماً طبيعياً مـهتماً بالفلسـفة والتـف حوله العلماء الذين على شـاكلته ، وأصـدروا مجلـة سنة ١٩٣٠ م تعبر عن رأيهم ، وتولى الإشراف عليها اثنـان من أعضائـها هما "كارناب" و " ريشنباخ " إلى جانب مـا أصدره أعضـاء الجماعـة من كتـب ورسـائل . وذاعت شـهرتهم حتـى استطاعوا أن يعقدوا مؤتمر قى مدينة "كينجر برج" فى سبتمبر ١٩٣٠ ، وتعاون معـهم مجموعة كبيرة من كبار علماء الرياضة والطبيعة فى جميع أنحـاء أوروبا (٢).

وتوالت مؤتمراتهم ولكن مقتل " مورتس شليك " وقيـام الحـرب العالميـة الثانيـة سنة ١٩٣٩ أدى إلـى تشـتت الجماعـة ، فذهـب "فـايجل" و" كارنـاب " و " ريشـنباخ " إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكية وتولوا مناصب الأستاذية فى أكبر جامعاتها .

وذهب " وايزمان " و " نوارث " إلى إنجلترا ، واشتهروا فـى عالم الدراسات الفلسفية ، واتسع بذلك نطـاق الجماعـة وخصوصـاً فى الولايات المتحدة وفى إنجلترا (٣).

وما ربط بين هذه الجماعة إلا ما بينهم من اتفاق على أن يجعلوا الفلسفة علمية الطبع ، فيطبقوا عليها ما يطبق علـى العلـم مـن دقـة

١- حياة الفكر فى العالم الجديد ، دكتور زكى نجيب محمـود ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ط٣ دار الشروق .

٢- أنظـر نحـو فلسـفة علميـة ص ٦٢ ، أنظـر أيضـاً الموسـوعة الفلسـفية المختصـرة ص ٥٣٧ .

٣ - أنظر نحو فلسفة علمية ص ٦٣ .

Scanned with CamScanner

وصرامة ، حتى لا يعود بساحتها موضع لكلمة غامضة المعنى كهذه الكلمات الكثيرة التى ألفتها الفلسفة فى شتى عصورها السابقة مثل "نفس - فكر - عقل - مطلق - عنصر - جوهر " وما إلى ذلك من ألفاظ اختلفت معانيها وانبهمت ، و حتى تتخلص الفلسفة من تقاليدها الموروثة التى كانت تورطها فى ضرب من الكلام الخالى من المدلول إذا قيست الدلالة بمقياس التحقيق العلمى أو بمقياس التفاهم بين الناس فى أمور حياتهم الجارية (١) .

الوضعية المنطقية تريد للفلسفة أن تشبه العلم فى دقة استخدام الألفاظ والعبارات مطابقاً للواقع المشاهد بحيث لا تدع كلمة بغير مسمى يمكن تعقبه بالحواس ، وتشبه العلم أيضاً فى حصر بحثها فى مشكلات جزئية محددة وتقنع بذلك ولا تحاول البحث فى مبدأ يضم الكون كله ، لأن هذه المحاولة تبدو مستحيلة النتائج .

والفيلسوف المعاصر صاحب النظرة العلمية يكتفى بتحليل كلام العلماء لتوضيحه ولا يشاركهم فى أبحاثهم الواقعية فى العلوم ، فلا يشترط أن يكون متخصصاً فى العلوم التجريبية .

والمقصود بهذا التحليل هو تحليل العبارة تحليلاً منطقياً أو عقلياً ، وإن كانت كلمة تحليل ليست محددة تحديداً حاسماً بين من يستعملونها حتى المتخصصين منهم إلا أنه يمكن التماس شئ من التحديد بشرح طريقة كل فيلسوف يستخدم منهج التحليل ، فطرق التحليل وإن كانت مختلفة باختلاف أصحابها إلا أنهم جميعاً

١- أنظر المصدر السابق نفس الصفحة .

Scanned with CamScanner

تضمهم أسرة واحدة (١).

ومهمة الفلسفة عند أنصار الوضعية المنطقية هى : تحليل العبارات والألفاظ من حيث بنائها المنطقى العام ، لا من حيث طرائق استخدامها فى لغة بعينها ، وتحليل العبارات والألفاظ على هذا النحو هو نفسه تحليل الفكر من حيث صورته لا من حيث مادته .

ويذكر الدكتور زكى نجيب محمود أن حصر مهمة الفلسفة فى تحليل العبارات يعتبر ثورة فى الفلسفة ، لأن فلاسفة التحليل قد غيروا مجال البحث الفلسفى تغييراً حاسماً ، فانتقل اهتمام الفلاسفة من البحث فى حقيقة العالم ، وحقيقة الإنسان إلى تحليل العبارات ، وأصبح موضوع البحث ليس أشياء أو لكنة جمل ، وبهذا يربط الفلاسفة أنفسهم بالعلم وبالحياة اليومية ، بدلاً من البحث عن الحقيقة وراء هذا العالم المحسوس . وبهذا تصبح الفلسفة منطقاً صرفاً على أساس تجريبى (٢).

وذلك أن العالم الذى نعيش فيه مكون من حوادث محسوسة . وكل شئ نعتقد أنه ذو كيان واحد – إذا ما حللناه إلى عناصره الأولية البسيطة وجدناه مكون من حوادث يتبع بعضها بعضاً . هذه الحوادث عبارة عن سلسلة حالات الشىء أو ظواهره . و الذى يعطيه الواحد اية هو ما بين الحالات من روابط وعلاقات .

---

١. أنظر المصدر السابق ص ٧ – ١٣ وأنظر نشأة الفلسفة العلمية ، هانز ريشنباخ ص٢٨ . ترجمة فؤاد زكريا دار الكتاب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ .

٢- أنظر نحو فلسفة علمية ص ١٦ – ١٨ ، ٦٦ وخرافة الميتافيزيقا للدكتور زكى نجيب محمود ص ١٨ – ٢١ ، ٣٠ – ٣٦ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٣ .

Scanned with CamScanner

وهكذا فإن قوام العالم حوادث محسوسة ترتبط فى مجموعات تجعل كل مجموعة منها شيئا واحدا .

وألفاظ اللغة وعباراتها من أشياء هذا العالم الواقعى ، فكلماتها مكونة من حوادث تتمثل فى حالاتها المختلفة سواء كانت مسموعة أو مكتوبة أو مقروءة أو منطوقة وكل حالة من هذه الحالات ذات أحوال كثيرة .

وكلمات اللغة وعباراتها هى مادة هذا العالم لا فرق بينها وبين ما تعبر عنه إلا فى الدرجة فقط ، وإذا كانت كلمات اللغة و عباراتها من مادة الواقع وهى جزء منه فقد جعلت بعض وقائع العالم رموزاً للبعض الآخر .

والعالم ذو شقين هما : الكائنات ، والوقائع من جهة ، واللغة التى ترمز إليها من جهة أخرى . ويختص العلماء بدراسة الوقائع ، ويختص الفلاسفة بدراسة اللغة باعتبارها رمزاً تشير إلى عالم الأشياء ، وهكذا تصبح الفلسفة " علم المعنى " كما تريد لها الوضعية المنطقية على أساس أنها تهتم ببيان مدى دلالة الرمز اللغوى على ما يرمز إليه ، ومدى الصلة بينهما من حيث وجود المرموز إليه أو عدمه فى الواقع .

ومسائلها هى مسائل لغوية بمعنى أنها تهتم بتحليل العبارات التى تعبر عنها ، وليس القصد أن يكون البحث اللغوى من قبيل البحث فى علوم اللغة المختلفة ، بل ينصب البحث على منطق اللغة من حيث هى أداه ترسم طرائق السلوك بإزاء العالم الذى

Scanned with CamScanner
ممسوح ضوئيا بـ CamScanner

نعيش فيه (١) .

ومحور البحث الفلسفى عند أصحاب الوضعية المنطقية هو اللغة دلالة وتركيبا . فعندما يكون هدف البحث هو الدلالة : يكون عندئذ مركزا على علاقة التطابق بين الصورة اللغوية وعالم الأشياء المحسوسة ، ويطلق على هذا البحث اسم – السيمية – أى السمات ، وعندما يكون مركزا على العبارات من حيث هى مركبة من مفردات يسمى عند ذلك علم البناء اللفظى .

وإذا كانت الوضعية المنطقية تدرس ألفاظ اللغة فى حالتيها - عندما تكون مفردة وعندما تكون مركبة – فإنها تطرح ألفاظ اللغة المعينة الخاصة بطائفة من الناس وتعبر عنها برموز جبرية . فتنظر إلى تركيبات اللغة الصورية الخالصة وبذلك يكون تحليل اللغة غير منصب على مادتها بل منصباً على صورتها .

والوضعية المنطقية عندما تبحث فى مفردات اللغة لتحدد معانيها تشترط أن تكون معبرة عن أشياء محسوسة يمكن الإشارة إليها . فإذا لم يمكن الرجوع بها إلى عالم الأشياء كانت فارغة من المعنى وعندما نبحث فى الجملة أو القضية المركبة من طرفين أو أكثر تربط أطرافها علاقات معينة تحكم بالصواب أو الخطأ عليها بالنظر إلى ما بين أجزائها من علاقات من جهة ، وما تدل عليه من وقائع محسوسة من جهة أخرى ، فإذا كانت أجزاء القضية لا تعبر عن وقائع محسوسة كانت فارغة من المعنى .

---

١ - أنظر المصدر السابق ص ١١٧ - ١٣٦

Scanned with CamScanner

وهكذا يشترط لكى تكون القضية ذات معنى : أن يمكن الرجوع إلى وقائع العالم الخارجى ، ولا يشترط لذلك أن يكون الرجوع بالقضية إلى الواقع فعلاً . فإن ذلك شرط للحكم عليها بالصدق أو عدمه وليس لخلوها من المعنى أو عدمه .

وهذا المعيار ينطبق على الجملة الخبرية فقط ولا ينطبق على القضايا الرياضية وقضايا المنطق الصورى على أساس أنهما لا تدعيان الأخبار بشىء بحيث نبحث عن خلوها من المعنى أو عدمه . ومن هذا المنطلق ترفض الوضعية المنطقية العبارات الميتافيزيقية (١) .

والدكتور " زكى نجيب محمود " من أنصار الوضعية المنطقية يؤكد على رفض العبارات الميتافيزيقية ، فيقول : (و ها هنا يأتى حذف العبارات الميتافيزيقية على أيدى جماعة فيينا وأتباعهم ، لأنه إذا كانت العبارات الميتافيزيقية هى ما يزعم لها قائلها أنها " تعنى " شيئاً خارج حدود الخبرة الحسية فهى بحكم هذا الاعتراف نفسه عبارة بغير " معنى " فليس الأمر ها هنا مقتصراً على أن الإنسان عاجز بملكاته الراهنة أن يجاوز حدود الخبرة إلى ما وراءها بحيث يفهم معنى العبارة السابقة ، بل أن منطق اللغة نفسه يحتم أن تكون مفردات اللغة وعباراتها منصرفة إلى مسميات فى عالم الواقع الذى نحيه فعلاً أو إمكاناً .

العبارة الميتافيزيقية بهذا المعنى لا يمكن تحقيقها ، وهذا معناه أنها عبارة بغير معنى وإذن فعبارتها " تشبه " اللغة وليست منها

١- أنظر نحو فلسفة علمية ص ٦٦ - ٧٧ وأنظر نشأة الفلسفة العلمية ص ٢٨ ، ٢٠٢ ، ١٢٦ - ٢٢٧ .

Scanned with CamScanner

كالعملة الزائفة التى ربما انخدع بها مخدوع من غير الصيارفة المحترفين ، ولكن انخداعه هذا لا يجعل لها قيمة فى عالم الاقتصاد .

وتنشأ هذه العبارات الزائفة على أحد صورتين ، أولهما : ان يدس المتكلم فى عبارته كلمة بغير معنى ، أو كلمة لاتشير إلى شئ من خبرات الإنسان الحسية ككلمة " جوهرا " مثلاً كما يستعملها الفلاسفة الميتافيزيقيون ، حين يقولون مثلاً أن لكل شئ " جوهرا " وراء معطياته الحسية ، والصورة الثانية التى قد تجئ عليها العبارة الزائفة : هى أن يستخدم المتكلم ألفاظ كلها من ذوات المعنى الخبرى المفهوم ، لكنه يرصها على نحو لا يرضاه منطق اللغة فى استعمالها المألوف ، كأن يقول مثلاً " العقل عنصر "(١) .

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ٦٩ - ٧٠ .

Scanned with CamScanner

صورة عن دراسة
الوضعية المنطقية للغة

الوضعية المنطقية حين رفضت الميتافيزيقا وجهت هدفها إلى دراسة اللغة ، فدرست الكلمات والجمل أو القضايا ، والآن نعطى صورة مبسطة عن هذه الدراسة .

دراسة الوضعية المنطقية للكلمات :

الكلمات التى تعنيها الوضعية المنطقية هى رموز اللغة أو ما يقوم مقامها – مما إتفق الناس على أن يكون دلالة على مسميات موجودة فى الواقع – حين لاتشير إلى شىء مما يتصل بالجانب الوجدانى فى حياة الإنسان لكى تصلح أن تكون أداة فى المعرفة العلمية ، أو المعرفة الإخبارية التجريبية بمعنى أوسع . وعندئذ لا تتجاوز هذه الكلمات أن تكون أحداثاً مما يقع فى عالم الحس سواء كانت " منطوقة أو مسموعة أو مكتوبة أو مقروءة " وتكون وسيلة إدراكها هى الحواس .

والكلمة كائنة ما كانت لاتكون ذات معنى إلا إذا كانت تسمى شيئاً موجوداً فى الواقع ليتم لها ماجاءت من أجله وهو التفهم ، وهو وجود طرفين وهما الرمز والشىء المرموز إليه ، والرموز اللغوية التى لابد لنا من استخدامها قد تكون كاملة وقد تكون ناقصة .

فالرموز الكاملة وهى تلك التى تطلق على مسميات محدودة جزئية معلومة بحيث إذا ذكر الرمز عرف الشىء المرموز إليه فى عالم الأشياء معرفة حازمة لا لبس فيها ولا ازدواج مثل أسماء الأعلام

Scanned with CamScanner

كالعقاد والنيل ، لكن هذه الأسماء لها أحوال كثيرة تتغير فى الزمان والمكان ولهذا فإنها رموز كاملة على سبيل التجويز ، نطلقها على المسمى ذى الأحوال الكثيرة نظرا لما بين هذه الأحوال الكثيرة من شبه ولتعذر إطلاق اسم على كل حالة من هذه الحالات .

والرمز الكامل بالمعنى الدقيق هو اسم الإشارة هذا ، عندما يدل على حالة واحدة محددة بالزمان والمكان وما إلى ذلك من المحددات .

والرموز الناقصة هى تلك التى لا تضمن لنا بذاتها وجود مسميات لها وهذه الرموز الناقصة تكاد تشمل معظم ألفاظ اللغة التى تستعملها وهى لا تقتصر على الأسماء التى تدل على كائنات من نسج الخيال وحده مثل العفريت والعنقاء ، ولا يستثنى منها إلا أسماء الأعلام .

وبالرغم من اعتبار أسماء الأعلام مثل العقاد رموزاً كاملة تجاوزا فإنها لا تمثل إلا جزءاً قليلاً من اللغة التى تشتمل على كلمات تمثل غالبية ألفاظها وهى تسمى فى المنطق " بالكلمات العامة " أو " الأسماء الكلية " مثل إنسان . هذه الأسماء رموز ناقصة لا تكفل لنا وجود مسماها إذ قد يستخدمها الناس إستخداماً يؤدى إلى الغرض المقصود كاملاً ، ومع ذلك لا يكون لها مسمى يقابلها فى عالم الأشياء (١) .

١- أنظر المصدر السابق ص ٩١ - ٩٥ .

Scanned with CamScanner

والأسماء الكلية أو الكلمات العامة لا تدل على فرد بعينه ، بل تدل على مجموعة من الأفراد تجمع بينهما صفات مشتركة وهى جملة بأسرها ضغطت فى كلمة واحدة أو حللت لأفصحت عن عبارة وصفية مجهولة الموصوف وقد يكون الموصوف الذى تدل عليه العبارة الوصفية – التى ينطوى عليها الاسم الكلى – ذا وجود فعلا أو لا يكون .

والعبارة الوصفية نوعان ، أحدهما : ما يكون المركب الوصفى فيه منطبقاً على أى فرد من مجموعة متشابهة الأفراد . وهذه الرموز الوصفية لا تقتضى بالضرورة وجود مسماها وجوداً فعليا ، ولا يكتفى أن يكون الرمز اللغوى موجوداً لنحكم بأن له مسمى فى الواقع ، ولابد لحكمنا بوجوده الفعلى من مشاهدتنا للفرد الموصوف فى الحالة الأولى أو أحد أفراد المجموعة الموصوفة فى الحالة الثانية لأن الفيصل بين الكائن الوهمى والكائن الفعلى هو شهادة الحواس فقط (١) .

وهناك نوع ثالث من الكلمات تسمى " بالكلمات البنائية أو المنطقية " مثل " الواو " و " أو " و " أما " و " إليها " تلك التى تعبر عن علاقة بين طرفين أو أكثر وليس لها مسميات فى الواقع ولا يكون لها معنى إلا إذا اقترنت بما تربط بينه من أسماء أو صفات ومع ذلك فلها خطرها الذى لا يمكن تجاهله فى المنطق وهى تستعمل فى بناء الأفكار فهى تقتضى وجود الكلمات التى تربط بينها .

١- أنظر المصدر السابق ص ٩٩ – ١٠٠ .

Scanned with CamScanner
تم المسح بـ CamScanner

و الكلمات المنطقية تعتبر الركائز الثابتة التى تحدد " صورة " الفكرة ، بينما تحدد الكلمات التى هى أسماء أو صفات " مادة " الفكرة . وقد يجوز إفراغ الفكرة من مادتها ولكن لايجوز الاستغناء عن الصورة فقد نستبدل الكلمات التى تعبر عن مادة الفكر برموز جبرية ومع ذلك تظل الصورة قائمة .

هكذا تبدو أهمية الكلمات المنطقية التى تعبر عن علاقات : فهى التى تميز المنطق التحليلى عن المنطق الأرسطى . فالمنطق الأرسطى يرى أن الفكرة مكونة من طرفين هما الموضوع والمحمول . ولكن المنطق الوضعى يرى أن العلاقة تقوم بين طرفين أو أكثر كلها موضوعات (١) .

هذه ضروب ثلاثة من الكلمات : اسم العلم ، و الاسم الكلى ، والكلمة المنطقية ، وليس فيها ما هو رمز كامل يدل حتماً على وجود مسماه وجوداً فعلياً فى دنيا الأشياء إلا اسم العلم أى الكلمة التى تشير إلى جزئى واحد معين (٢) .

وهناك نوع رابع وهو ذلك النوع من الكلمات التى تدل على قيمة أخلاقية أو جمالية وتعبر عن انفعال شخصى ولكنها لا تشير إلى كائن خارجى بحال من الأحوال . والأحكام الجمالية والأخلاقية نسبية وليس لها معنى إلا هذا المعنى النسبى وليس لها معنى مطلق . وإن أجمع الناس على جمال شىء أو قبحه فإن ذلك الشىء المجمع عليه إذا حللناه تحليلاً منطقياً قضينا بأنه قد يتغير هذا الحكم فى يوم من الأيام . وأيا ما كان (فإن الألفاظ الدالة على

١- أنظر المصدر السابق ص ١٠٠ - ١٠٦ ونشأة الفلسفة العلمية ص ٩٩ ١٠٠ .
٢- أنظر نحو فلسفة علمية ص ١٠٧

Scanned with CamScanner

قيمة جمالية أو قيمة خلقية ليست من قبيل الأسماء التى تسمى شيئاً بذاته فى عالم الأشياء – كأسماء الأعلام – وليست هى من قبيل الأسماء الكلية التى تدل الواحدة منها على مجموعة وصفية قد تتحقق عناصرها فى شىء بذاته من أشياء العالم الخارجى ، وليست من قبيل الكلمات المنطقية مثل " أو " و " إذا " مما لا يكون له مدلول خارجى لكنه يربط أجزاء الجملة ليجعل منها وحدة ، بل هى نوع رابع وفريد إذا لا تشير إلى أى مدلول خارج الإنسان الذى يسوقها فى كلامه ليخرج بها انفعالا أحس به ، وربما أراد أن يثير انفعالا شبيهاً به عند سامعه (١) .

دراسة الوضعية المنطقية للجمل أو القضايا :

إن الجمل أو القضايا ذوات المعنى ينبغى أن تتكون من كلمات ذوات معنى ، هذه القضايا تنقسم إلى قسمين : قسم ضرورى الصدق ويقينى ، ومعرفة ذلك الصدق قبلية ، وقسم ليس ضرورى الصدق أو اليقين ، ومعرفة صدقه أو كذبه بعديه ، ويقول زكى نجيب محمود : (موقفنا هو استحالة الجمع بين الخبر وضرورة الصدق فى جملة واحدة فإذا كانت الجملة إخبارية فهى ليست ضرورية الصدق ، إذ يحتمل أن نراجعها على الواقع فإذا هى باطلة ، وإذا كانت الجملة ضرورية الصدق فهى إذن فارغة من الخبر وهى تكرار وتحصيل حاصل) (٢) .

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ١١٣ وأنظر خرافة الميتافيزيقيا ص ١١٠ ، ١١٢ ، ١٣٤ وأنظر نشأة الفلسفة العلمية ٢٤١ – ٢٥١ .

٢ - نحو فلسفة علمية ص ١٧٠ .

Scanned with CamScanner

والقسم الأول من القضايا هو قضايا الرياضة والمنطق . والقسم الثانى هو القضايا التى تتحدث عن العالم الخارجى .

قضايا المنطق والرياضة :

قضايا الرياضة : هى قضايا ضرورية الصدق دائما فى كل زمان ومكان . وصدقها غير خاضع للظروف المختلفة – ومعنى الضرورة هنا : أن النقيض مستحيل استحالة منطقية . وهى تلك التى لا تقال إلا على جملة تتضمن الشىء ونقيضه كما نقول المربع له أربع أضلاع وليس له أربع أضلاع . والقضية الرياضية يقينية لأنها تستمد يقينها من لفظها فهى تكرار للفظ الواحد مرتين . فالمبتدأ هو الخبر ورمزها أ هى أ ، بخلاف القضايا الطبيعية فإن الخبر غير المبتدأ ورمزها أ هى ب . وهكذا فإن يقينية القضايا الرياضة وضروريتها كامن فى لفظها لأنك عندما تقول الماء هو الماء تجد أن قولك إن الماء ليس هو الماء – وهو نقيض القضية السابقة – مستحيلاً .

والقضية الرياضية قبلية بمعنى أننا نعلم أنها صادقة قبل أن نحتكم فى ذلك إلى خبرة حسية لأن تكوينها الرمزى ذاته دل على ضرورتها ويقينها على اعتبار أنها تحصيل حاصل محمولها تكرار لموضوعها ولا يعطى خبراً جديداً كما هو الحال فى القضايا الخاصة بالوقائع الخارجية التى يخبر محمولها عن موضوعها بخبر جديد فإنها لا تكون قبلية أبداً لأن التحقق من صدقها أو كذبها لا يأتى إلا بعد الخبرة الحسية (١) .

١- أنظر نحو فلسفة علمية ص ١٦٦ – ١٧٠ .

Scanned with CamScanner

أما قضايا المنطق :

فإنها أيضا قضايا ضرورية الصدق وقبلية وهى صورية خالصة على اعتبار إنها قوالب فارغة من المضمون الحسى وضرورة صدقها وقبليتها يتأتيان لكونها لا تقول شيئا إيجابيا عن الطبيعة بحيث تتعرض من أجله للخطأ وهى فى صميمها قواعد وضعت لتكون أساسا يعتمد عليه فى استخدام الرموز اللغوية .

القضايا الإخبارية ومدى وثاقتها :

الجمل اللغوية بمختلف أنواعها مكونة من كلمات تستمد معناها من هذه الكلمات ، ولابد أن تكون من هذه الكلمات وحدة تجعل منها رمزاً واحداً له من الخصائص ما ليس للكلمات المفردة الداخلة فى تكوينها .

ولكن ليس كل صف من الكلمات يكون جملة ذات معنى ، أنه لابد من عدة شروط لكى يكون للجملة معنى ، وهى أن يكون بين كلمات الجملة رابطة توحد بينها فى رمز واحد له من الخصائص ما ليس لمفرداته .

ويجب على المحلل – عندما يتعرض لتحليل عبارة من العبارات – أن يطمئن إلى أنها جملة واحدة . ولا تكون الجملة واحدة إلا إذا كانت دالة على واقعة واحدة بسيطة لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها ، ولا يتأتى هذا إلا إذا كانت الأسماء الموجودة فى الجملة أسماء أعلام ، وكذلك الصفات ينبغى أن تكون حالات جزئية بسيطة جداً ، لأن تبين الصدق من عدمه لا يتأتى إلا عندما نراجع جملة واحدة على واقعة محسوسة واحدة . على أساس أن

Scanned with CamScanner

الواقع التى يجب أن تراجع عليها الجمل للتأكد من صدقها أو كذبها يجب أن تكون حالات جزئية مرتبطة بعضها ببعض .

ولتوضيح ذلك يقال : أن العالم مكون من وقائع تصور كل واقعة منه – أو يمكن أن تصورها – جملة . ويقال عن الواقعة التى لا تنحل إلى أبسط منها أنها واقعة ذرية ، ويقال كذلك عن الجملة الواحدة البسيطة التى تصورها أنها جملة ذرية .

والواقعة الذرية الواحدة لا تكون أبدا إلا من جزئية واحدة ، ولابد لكى تكون واقعة أن تتصف هذه الجزئية الواحدة بصفة ما ، أو أن تتصل بغيرها من الجزئيات فى مركب واحد يكون ذريا ما دمنا لا نستطيع حله إلى أكثر من واقعة واحدة ، والجزئى الواحد من جزئيات الطبيعة يقابله فى اللغة اسم العلم ، والصفة التى تصفه فى الطبيعة يقابلها فى اللغة كلمة تسميها باصطلاح المنطق " المحمول " فإن كان بين الجزئى الواحد وغيره من الجزئيات علاقة تربطهما معا فى واقعة ذرية واحدة ، كان فى اللغة كلمات دالة على هذه العلاقات لتربط بين الأسماء الواردة فى الجملة ذرية واحدة .

ولا يكون الكلام ذا معنى مباشر إلا إذا كان يشير إلى واقعة ذرية واحد محسوسة ، أو يمكن تحويله إلى جمل ذرية يتحدث كل منها عن شىء واحد جزئى محسوس كذلك .

وينبغى أن يتوفر شرط فى القضية الذرية التى ينتهى إليها التحليل وهو ألا تكون مما يمكن أن نجد له نقيضا ينقضه وينفيه . بمعنى أن تكون الخبرة الحسية المباشرة مستحيلة التكذيب على أساس خبراتى الأخرى ، أو على أساس خبرات الآخرين .

Scanned with CamScanner
تم تصوير بـ CamScanner

هذا الرأى – لفريق من الوضعيين – الذى يربط بين عبارات اللغة والوقائع الخارجية فى اختبار صدق القضايا الذى تخبر عن العالم الخارجى يعتنقه " دكتور زكى نجيب محمود " (١).

على أن هناك رأياً لفريق آخر من الوضعيين المنطقيين فى هذه النقطة ، ومن أكثر القائلين به " نورث " و " همبل " ومؤدى هذا الرأى أن :

١ ـ كل قضايا العلم بما فى ذلك القضايا الأساسية التى تتخذها محكاً لصدق ما عداها إنما تساق نتيجة قرارات إرادية يقررها زاعمو تلك القضايا ، ولهم أن يغيروها وكل ما يراعونه فى كل حالة هو أن تكون مجموعة القضايا العلمية المزعومة على اتساق بعضها مع بعض .

٢ – فإذا قلنا عن قضية علمية معينة أنها باطلة ، كان أساس حكمنا هذا هو أننا وجدناها متنافرة مع بعض القضايا العلمية التى لا تتسق معها فى بناء فكرى واحد .

٣ – فبدل أن يكون لدينا نسق واحد من القضايا بحيث تقول عنه أنه النسق الذى لا نسق سواه يمكن أن نبنى نسقات عدة كل واحد منها تتسق أجزاؤه ، لكنها فى جملتها يختلف الواحد منها عن سواه ، أما أى هذه النسقات هو الذى يطبق على العالم فذلك أمر يقرره السلوك العلمى ولا يقرره المنطق ، لأن النسقات كلها عند المنطق سواء (٢).

---

١ ـ أنظر المصدر السابق ص ١٢٩ – ١٣١ ، ١٨٠ – ١٨٥ .
٢ ـ نحو فلسفة علمية ص ١٨٥ .

Scanned with CamScanner

والفرق بين التحليل الوضعى المنطقى وبين التحليل الأرسطى هو أن " أرسطو " جعل الأنواع هى آخر مراحل التحليل ، فجعل القضايا التى تكون موضوعاتها كلمات كلية هى الوحدات البسيطة الأولية ، هذه القضايا تعتبرها الوضعية المنطقية قضايا ناقصة لا يمكن التحقق من صدقها أو عدمه وتسميها " دالة القضية " ولا تكمل العبارة إلا باسم جزئى يكمل هذا النقص . وتصبح بذلك صالحة للتحقيق لأنها يمكن حينئذ مراجعتها على الواقعة الحسية التى تعبر عنها ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فإن المنطق الأرسطى يرى أن كل أنواع القضايا مكونة من موضوع واحد وما يحمله ذلك الموضوع من صفات .

ولكن الوضعية المنطقية لا تحصر القضايا فى هذا الإطار بل ترى وجود قضايا ذات موضعين أو أكثر تربط بينهما علاقات .

والفرق بينهما وبين القضية ذات الموضوع الواحد : هو أن القضية ذات الموضوع الواحد تتضمن الموضوع وصفته فقط ، بينما تتضمن القضية ذات الموضوعات المتعددة موضوعين أو أكثر تمثل أطراف الواقعة التى تعبر عنها .

هذا الفرق بين المنطق الأرسطى والمنطق التحليلى الحديث كما تراه الوضعية المنطقية يترتب عليه نتائج يصورها " دكتور زكى نجيب محمود " بقوله : (إن الفرق عميق فى تكوين وجهة النظر إلى العالم ، فالتحليل الأرسطى منته بصاحبه إلى أن الكون حقيقة واحدة وله هذه الصفة أو تلك).

Scanned with CamScanner

وأما التحليل الجديد فينتهى بصاحبه إلى أن الكون حقائق عدة . ذلك لأنى إذا أخذت بوجهة النظر الأرسطية فسأظل أصعد فى سلم الموضوعات من أدناها إلى أعلاها . وفى شتى هذه المراحل الصعودية لا يكون لدى ما أقوله عنها إلا صفات تحملها تلك الموضوعات حتى انتهى فى غاية الشوط إلى موضوع واحد يضم كل ما تحته من فروع ولا يكون لدى ما أقوله عن ذلك الموضوع الواحد إلا صفاته التى يحملها . وأما الأخذ بالتحليل الجديد فإنه يشترط بادىء ذى بدء أن تكون وقائع الكون من صنف معين ، بل سينتظر التجربة وما تأتيه به من معلومات ، فأما تقول التجربة عن شىء ما أنه ذو صفة معينة ، وأما تقول عن شيئين أو عن ثلاثة أشياء أنها مرتبطة برباط لا يجعل واحد منها أعلى تعميماً ولا أقل تعميماً .

وأهم من ذلك كله :

أن التحليل الجديد للفكر يحتم على صاحبه أن يجعل الوقائع الجزئية هى وحدها المرجع الذى يرتد إليه الفكر فى تحقيق أفكاره وأفكار الآخرين (١) .

ولكن ماهى درجة وثاقة القضايا التى تتحدث عن العالم الخارجى ، إن كل عبارة يقفز بها المتكلم مما يدركه إلى ما ليس يدركه مباشرة ، هى صواب على سبيل الاحتمال لا على سبيل اليقين مثل أن " يرى لوناً أسود " فيقول تعبيراً عما تنطبع به حاسته – الذاتية " أرى لوناً أسود " فلا يستطيع أن يستنبط منها

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ١٩٢ . وأنظر نشأة الفلسفة العلمية ص ١٩٠ - ١٩٢

Scanned with CamScanner

استنباطا قياسيا ضروريا أن ثمة موجات ضوئية طول الواحدة منها كذا – وهى التى سببت إدراكه اللون الأسود ، لأن إدراك اللون الأسود ليس هو الموجة الضوئية المذكورة ، وكل ما يستطيع نحو هذه العبارات هو البحث عن درجة احتمالها .

فإذا كانت عالية عدت صوابا ورتبنا عليها سلوكا نرجح أن يبلغ بنا إلى ما نصبو إليه (١) .

ومن هذا القبيل مشكلة الاستقراء التى تشغل فلاسفة العصر الحديث ويحاولون أن يبحثوا فى المبررات التى تجيز للعالم الطبيعى أن يستنبط قانونا عاما ينطبق على المستقبل . مع أن الأمثلة التى استنبط منها القانون العام هى أمثلة جزئية من الماضى فقط . فكيف يجوز للعالم أن يقفز من الماضى إلى المستقبل ومن المحدود بالزمان والمكان إلى المطلق منها ؟

هذا هو السؤال الذى حاول فلاسفة العصر الحديث أن يجيبوا عنه فيرى " هيوم " :

أن استنتاج قانون عام ينطبق على المستقبل فى كل أحواله من خبرات جزئية غير ممكن إلا على سبيل الاحتمال مهما كثر عدد التجارب الجزئية التى تؤدى إلى هذا القانون .

ويرى " كانت " :

أن القوانين الطبيعية ضرورية ويقينية ، وفلسفته تقريبا محاولة لإجابة عن مصدر هذه الضرورة (٢) .

---

١ - أنظر نحو فلسفة علمية ص ٢٠٧ .
٢ - أنظر نحو فلسفة علمية ص ٢٠٧ – ٢٠٩ .

Scanned with CamScanner

ويرى " دكتور زكى نجيب محمود "؛

أن " كانت " يخطىء عندما يرى الضرورة فى القوانين الطبيعية ، ومصدر خطئه أنه لم يفرق بين قوانين الطبيعة وقوانين الرياضة فجعلها من نوع واحد كلها يقينية . وخطؤه هذا وقع فيه " جون إستيوارت مل " عندما جعل قوانين الرياضة مثل قوانين الطبيعة كلها احتمالية ، والصواب عند أنصار الوضعية المنطقية أن هناك فرقاً بين قوانين الطبيعة وقوانين الرياضة ، فالأولى احتمالية والثانية يقينية لأنها تكرارية عجزها تكرار لصدرها فلا تعطى جديداً يحتمل صدقاً أو كذباً . وقال " دكتور زكى نجيب محمود " : أن التحليلات الحديثة أبرزت الفوارق بين نوعى التفكير الرياضى والطبيعى ، ففى التفكير الرياضى ينتقل الفكر من العام إلى الخاص ، فالنتائج متضمنة فى المقدمات ، وفى التفكير الطبيعى ينتقل الفكر من الخاص إلى العام ، فالمقدمات أجزاء فقط من النتائج . فالقوانين العامة فيها إضافة لم تكن فى الجزئيات المختبرة هذه الإضافة صدقها احتمالي وليس يقينياً (١).

وقد شغلت فكرة الاحتمال الفلاسفة المحدثين بغية تحديدها وتحليل الاحتمال نفسه لبيان الأساس الذى يبين ترجيح إحتمال على آخر ، وما إذا كان من الممكن قياس كل احتمال قياساً عددياً . فأدى البحث بفريق إلى القول : بأن كل احتمال يمكن تحديده . وهذا الفريق يريد أن يلتمس للقوانين العلمية يقيناً على غرار القوانين الرياضية مفترضاً أن طبيعتها من حيث يقين الصدق وعدمه واحدة . وهذه محاولة من محاولات التماس اليقين لنتائج

١- انظر نحو فلسفة علمية صـ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

Scanned with CamScanner

الاستقراء ، كما هو فى الاستنباط . وهذه المحاولة فى نظر الوضعية المنطقية خاطئة ، ولكن بعد الربع الأول من القرن العشرين كاد الباحثون – وعلى رأسهم " بوبر " و" كارناب " و " رسل " و " ليم نيل " – يتفقون على أن الاحتمال نوعان : فنوع يتعذر تحديده تحديدا عدديا ولكن هذا التحديد غير مستحيل فقد تتيح الوسائل فيما بعد فرصة التحديد . ومثاله أن يقال : يحتمل أن يكون أخى قد سافر أمس . ونوع منه يمكن تحديده تحديداً عددياً ومثاله أن نقول : أن فرصة ظهور الرقم ٤ إلى أعلى فى ظهر الطاولة هو ٦/١ . ولكن ماذا يفيد هذا النوع فى العلوم الطبيعية ؟

بمعنى ما علاقته بالواقع ؟ وخصوصاً إذا عرفنا أنه بالرغم من كون فرصة ظهور الرقم ٤ إلى أعلى ٦/١ لا يلزم ظهور الرقم فعلاً إذا رميت الزهر ٦ مرات والجواب : أنه عندما يلجأ إلى الحالات الكثيرة يقترب درجة الاحتمال من الواقع فعلاً بقدر ما نكرر فيها من حالات رمى الزهرة وهنا يمكن أن نحدد درجة احتمال انطباق القانون الطبيعى على مجموع الحالات وليس على الجزئيات . ونحن مضطرون إلى الاكتفاء بالنتائج الاحتمالية لأن اليقين فى القضايا الإخبارية يستحيل الحصول عليه لأنه ينحصر فى القضايا التحليلية الفارغة من الخبر فقط كما مر (١).

ومن هنا يتضح رأى الوضعية المنطقية بشأن احتمال صدق القضايا التى تتحدث عن العالم الخارجى .

---

١ - أنظر المصدر السابق ص ١١٠ – ١١٦ وأنظر نشأة الفلسفة العلمية ص ٢١٧ – ٢٢٠ .

Scanned with CamScanner

(وهو أن الأمر فى الحالتين جد مختلف ، وليس من المقبول الآن أن نبرر صدق نتيجة نستخلصها من شواهد الحس بنفس الطريقة التى نبرر بها صدق نتيجة نكرر بها ما قد زعمته فى مقدماتها . فجاءت تحليلية لا تضيف إلى علمنا جديداً ، فلئن كنت فى هذه تتوقع اليقين بطبيعة الحال وتظفر به ففى تلك لا يكون فى وسعك إلا احتمال مرجح صدق ، فلو ألقينا على أنفسنا الآن السؤال الذى ألقاه " كانت " على نفسه وهو : القضية من قضايا العلم الطبيعى قد جاءت من التجربة ومع ذلك فهى ضرورية الصدق يقينية . فمن أين جاءتها تلك الضرورة وهذا اليقين ؟ لو ألقينا هذا السؤال الآن ، لما ذهبنا معه نبحث فى مبادىء العقل ومقولاته عن مصدر الضرورة واليقين لأمثال تلك القضية التجريبية . بل لأجبنا بأنه لا ضرورة فى القضايا التجريبية ولا يقينية) (١) .

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ٢١٦ .

Scanned with CamScanner

الميتافيزيقا ونظرة الوضعية المنطقية لها

الميتافيزيقا كلمة تعنى ما بعد الطبيعة ، وهى تشمل مباحث كثيرة مثل البحث فى الوجود من حيث معناه ، وماهيته ، وغايته ، والبحث فى النفس ومعنى الروح والعقل والجوهر ، والمطلق ، ومعنى القيم الخلقية من خير ، وحق ، وعدل ... الخ ، وكذلك الخلود والفناء وغير ذلك .

وبإيجاز فإن كلمة الميتافيزيقا تعنى ما بعد الطبيعة فتشتمل على كل ما هو مغاير للطبيعة ونتعرف عليه عن طريق التفكير العقلى التأملى .

والأبحاث الميتافيزيقية احتلت مكانة كبيرة فى معظم الفلسفات على مر العصور ، فكان لها دوراً بارزاً فى التفكير الشرقى القديم سواء عند المصريين ، أو بلاد ما بين النهرين ، أو بلاد فارس ، أو الهنود أو الصينيين فالأبحاث الميتافيزيقية قديمة قدم الإنسان نفسه ومرتبطة بوجوده ، الفكر الميتافيزيقى مرتبط بالمباحث الإلهية أو الدينية كما أنه مرتبط بالأخلاق ، وبالوجود ، وبالحياة والموت والبعث والحساب ، وغير ذلك من الأبحاث فيما وراء الطبيعة .

وترجع تسمية هذه الأبحاث بالميتافيزيقا إلى القرن الأول قبل الميلاد ، وكانت تعنى فى ذلك الوقت ما بعد الطبيعة ، وقد أتى إليها هذا المعنى بطريقة الصدفة وذلك حين كان (أندروتيقوس)

Scanned with CamScanner
تم تصوير بـ CamScanner

يقوم بجمع وترتيب كتب أرسطو فجعل موضع كتب أرسطو المتعلقة بالفلسفة الأولى تاليا لموضع كتب الطبيعة .

وعلى ذلك فإن ما بعد الطبيعة تعنى فقط الكتاب التالى فى الترتيب لكتاب (الطبيعة) فى مجموع مؤلفات أرسطو التى نشرها أندروتيقوس ولا علاقة له بمضمون هذا العلم (١) .

إذن ما يطلق عليه ميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة كان عند أرسطو تحت عنوان (الفلسفة الأولى - أو الإلهيات) حيث كان يتناول المبادىء (العليا) لكل ما هو موجود ، وهى مبادىء ليست واقعة فى نطاق الإدراك الحسى لكنها قابلة للإدراك العقلى التأملى (٢) " ومن هنا أصبح موضوع الميتافيزيقا البحث فيما يتجاوز حدود الطبيعة " وإذن فليس من الحق مطلقاً بأن أرسطو قد ابتدع هذا العلم ..... فقد درس ما قبل الطبيعة قبل أرسطو الفلاسفة الأيونيون - المتقدمون منهم والمتأخرون - كما درسها أفلاطون وغيره "(٣) .

فما لاشك فيه أن الفلسفة اليونانية كان لها رصيداً كبيراً فى مباحث ما وراء الطبيعة قبل أرسطو فقد تأثر فلاسفة اليونان قبل أرسطو بفكر الشرق القديم - قد أثبت كثير من الباحثين ذلك - فأخذوا الكثير من الفكر الشرقى القديم ومنها مباحث الميتافيزيقا ، وقد إهتم الفلاسفة اليونان بالبحث فى الكون ، وخاصة جوهره

---

١ - موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوى حـ ٢ ص ٤٩٣ ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٨٤ م .

٢ - نقد العقل الوضعى ص ٤٩ .

٣ - المدخل إلى الفلسفة ، أزفلد كوليه ، ترجمة أبو العلا عفيفى ص٢٤ ، ٢٥ مطبعة التأليف والترجمة والنشر .

Scanned with CamScanner
تم المسح ضوئيا بـ CamScanner

وأصله ، وحاولوا وضع التفسير لمعنى المتناهى واللامتناهى ، والوجود والمطلق ، وكذلك مفاهيم الأزلية والضرورة والثبات فى مقابل الصيرورة حتى توصلوا " إلى إكتشاف وحدة الكون وراء الظاهرات المتعددة (١) .

وبعد المدرسة الأيونية ظهر السوفسطائيين فبحثوا فى الأخلاق و العقل وأحواله ، بعد ذلك تصدى لهم سقراط لتشككهم فى كل شىء وكان سقراط يرى أن لكل شىء طبيعة أو ماهية وراء الأعراض المحسوسة تدرك بالعقل وأن غاية العلم ادرك تلك الماهيات وكان يستعين على ذلك بالاستقرار الذى يتدرج من الجزئيات إلى الماهية المشتركة ، ولكن موقفه من السوفسطائيين حصر فلسفته فى النظر إلى الإنسان وفى دائرة الأخلاق(٢) .

وكان له اهتمام خاص بالبحث فى النفس فبرهن على وجودها وحدود طبيعتها ، وكان شعار فلسفته " إعرف نفسك " وهذه الفكرة الرئيسية التى جعلها سقراط غذاء للفكر البشرى خلال خمسة وعشرين قرنا (٣) .

وبعد ذلك جاء أفلاطون وكانت له آراء حول خلود النفس ، وجعل العالم المعقول هو أساس كل معرفة .

---

١ - تاريخ الفلسفة العربية ، حنا الفاخورى ، خليل الجر حـ ١ ص ٦١ ، ط ٢ دار الجبل بيروت ١٩٨٢ .
٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرن ص ٥٢ ، ٥٣ دار القلم بيروت .
٣ - تاريخ الفلسفة العربية حـ ١ ص ٦٤ .

Scanned with CamScanner

ثم جاء أرسطو وتبلورت عنده فكرة ما بعد الطبيعة . وانتقلت إلى تلاميذه وعرفها الإسكندر الأفروديسى بأنها ما " يبحث فى الوجود بما هو موجود ولا تبحث فى موجود معين بالذات " (١) .

وبعد ذلك انتقلت الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامى عن طريق الترجمات ، فبحث فلاسفة الإسلام فى الميتافيزيقا ضمن المسائل الفلسفية التى بحثوها ، ولكنهم لم يقبلوا كل ما نقل إليهم من الفلسفة اليونانية ، فقد قبلوا فقط ما يتفق مع الفكر الإسلامى ، ورفضوا ما عداه ، أما ما أخذوه فقد صيغوه بالصبغة الإسلامية وأضافوا إليه الكثير من فكرهم ، مما جعله متميزاً عن الفكر اليونانى وخاصة فيما يتعلق بالميتافيزيقا . فكانت لهم " أصالتهم بوصفهم فلاسفة دين يتخذون من الشريعة العليا محور لفلسفتهم وأساساً (٢) .

وفى هذه الفترة تعلق البحث الميتافيزيقى بالعقيدة الدينية تعلقاً شديداً حتى أصبح أول ما يتبادر للذهن عند سماع لفظ الميتافيزيقا هو المباحث الإلهية ، وظل على هذا الحال فى العصور الوسطى سواء إسلامية أو مسيحية فقد أصبح البحث العلمى خادما للدين وداعماً له بالحجج العقلية .

وظهرت الميتافيزيقا بهذا المعنى فى الفلسفة المدرسية المسيحية وخير مثال على ذلك القديس أوغسطين ، وتوما الأكوينى فقد إرتبطت الميتافيزيقا عندهم باللاهوت المسيحى واللاهوت الطبيعى

---

١ - موسوعة الفلسفة المختصرة ص ١٨ .
٢ - موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوى حـ ٢ ص ٤٩٣ .

Scanned with CamScanner

الأرسطى والأفلاطونى بوجه خاص ، الأرسطى عند توما الأكوينى والأفلاطونى عند أوغسطين (١) .

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث فإننا سنجد أن الميتافيزيقا اختلفت معانيها بعض الشىء عما سبق وذلك نتيجة النهضة العلمية التى انتشرت آنذاك .

فديكارت مثلاً تناولها بمعنى الحكمة ، وكانت عنده " تبحث فى أسس المعرفة بوجه عام "(٢) وقد قسم الفلسفة إلى قسمين ، قسم ميتافيزيقى ، والآخر علم طبيعى ، وجعل القسم الأول الميتافيزيقا التى تشمل " مبادىء المعرفة التى منها تفسير أهم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعانى الواضحة المتميزة الموجودة فينا " (٣) .

أم القسم الطبيعى فيبحث فى مبادئ الماديات فقد جعل الفلسفة كما نعلم شجرة جذورها الميتافيزيقا ، وجذعها العلم الطبيعى وأغصانها باقى العلوم ، بذلك فإن ديكارت يستعملها بمعنى قريب مما كانت عند القدماء فهى العلم الكلى وتنقسم إلى نظرية وعملية .

وأما فرنسيس بيكون – وهو معاصر لديكارت – فإنه بداية لمرحلة جديدة فى الفلسفة وذلك أنه نادى بضرورة إتخاذ منهج جديد للعلم لأن المنهج القديم وهو المنهج الاستنباطي أبقى الفلسفة بدون تقدم لفترة طويلة . ومن هنا دعا بيكون إلى أن تتخذ " نظاماً

---

١ - أنظر تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ، يوسف كرم ص ٢٥ دار القلم بيروت لبنان سنة ١٩٧٩ ، وانظر أيضاً موسوعة الفلسفة ص ٤٩٤ .

٢ - موسوعة الفلسفة ص ٦٢ .

٢- تاريخ الفلسفة الحديثة – يوسف كرم ص ٦٢ دار القلم بيروت لبنان .

Scanned with CamScanner

و أسلوبا جديدين للفكر ، الدراسة الاستقرائية للطبيعة ذاتها ، عن طريق الخبرة والتجربة (١) .

فبكون أول فيلسوف وضعى يقم تفرقة بين العلم والميتافيزيقا من حيث المنهج حيث رأى أن منهج العلم استقرائي ، ومنهج الميتافيزيقا تأملى .

وكان ينظر " إلى منهج الاستقراء و التأمل على أنهما متقابلان (٢) وعلى ذلك يجب رفض الميتافيزيقا لمنهجها لأن التأمل لا يصلح منهجا علميا لما فيه من التحيز وعدم الدقة " ويعد بيكون بذلك أول من مهد لاستبعاد الميتافيزيقا بمعناها التقليدى المعروف بإسم العلم ومن أجل تقدمه (٣) .

ومن بيكون ننتقل إلى " كانت " فنرى عنده نظرة جديدة فى نقد الميتافيزيقا فقد عرفها بأنها " جملة الموضوعات الخارجة عن نطاق التجربة ونطاق الزمان والمكان ، ومن هذا الوجه يحكم العقل النظرى على بطلان هذا العلم (٤) فقد تناول " كانت " الميتافيزيقا بمعنى جديد إلى حد ما يتفق مع الإتجاه النقدى الذى بنى عليه فلسفته وقد أدى به البحث إلى أن المعرفة الأولية ممكنة فى العلم الرياضى والطبيعى لأن مبادئهم الأولية تستند إلى التجربة من جهة والعقل من جهة أخرى .

---

١ ـ قصة الحضارة ، ديورانت ، حـ ٢ ص ٢٦٢ ترجمة محمد على أبو وردة ، مراجعة على ادهم ، بيروت ، دار الجبل ص ٢٦٢ .

٢ ـ الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، محمود رجب ص ٢٣٤ ط٢ دار المعارف سنة ١٩٨٦ .

٢ ـ المرجع السابق ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

٤ ـ المعجم الفلسفى ، مراد وهبه ص ٤٣٩ .

أما الميتافيزيقا فمبادئها لا تستند إلى إى تجربة مما جعله يعلن بانها فارغة وليست جديرة بان تلقب بمعرفة على الإطلاق وبذلك حكم عليها بانها ليست ممكنة [1] ورفضها وعلل رفضه لها بأن عقلنا ليس فى وسعه إدراك وجودها ومعرفة ماهيتها .

وعلى الرغم من أنه قال بعجز العقل البشرى على الإتيان بحقيقة الميتافيزيقا ولكنه لم يقل بأن فى وسع العقل البرهنة على عدم وجود هذه الموضوعات وهو يصور حالة العقل هذه بقوله : " وطالما أننا لا نجد حلاً لهذه المسألة فلن يرضى العقل عن نفسه أبداً " فطالما أن الميتافيزيقا داخلنا من حيث هى ميل فإنه لابد لها من غاية نافعة لنا وليس هى بالوهم الذى لابد من تبديده فعلينا أن نبحث عن ذلك الهدف وتلك الغاية ، فقد رأى أن الإيمان بوجود شىء وراء التجربة يدفع إلى الأمل والرجاء البشرى .

وبذلك نستطيع القول بأن الميتافيزيقا عنده نوع من الميل الطبيعى الذى يمكن فى تكويننا البشرى إلى البحث عما هو مفارق للموجودات الحسية ثم تضفى عليه صفة الموجود الأسمى . وعلى العقل أن يقنع نفسه بذلك الكائن الضرورى ويثبت أنه العلة الأصلية للكون فيقول فى ذلك " فهو (العقل) يبدأ بإستدراج نفسه إلى الإقتناع بوجود كائن ضرورى ، ويتعرف فى هذا الكائن على الوجود غير المشروط ثم يبحث بعد ذلك عن المعنى العام لذاك الذى يكون مستقلاً عن كل شرط ويجده فى ذاك الذى يكون الشرط الكافى لجميع الأشياء الأخرى لذلك فإن العقل يستتبع أن الكائن

---

١ - مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ممكن أن تعد علماً ، كانت ، ترجمة نازلى إسماعيل ، مراجعة عبد الرحمن بدوى ص١٤٨ ، دار القلم بيروت ١٩٦٥ م .

الأسمى بوصفه العلة الأصلية لجميع الأشياء يجب أن يوجد بالضرورة المطلقة (١) .

وبعد ذلك تقدمت العلوم الوضعية تقدما كبيرا فبدأت تلك العلوم بنقد الميتافيزيقا ورفضها حتى كادت الميتافيزيقا تفقد وجودها بالمعنى القديم وانتشرت دعاوى الرفض لها ، وبدأ موجة شديدة الصرامة فى رفض كل فلسفة ما وراء الطبيعة والتماس العلم فى المجال التجريبى فقط .

وتزعم هذه الحملة على الميتافيزيقا فى ذلك الوقت " أوجست كونت " وقسم العقل إلى ثلاث مراحل :

مرحلة لاهوتية ، ومرحلة ميتافيزيقة وأخرى وضعية .

فالمرحلة الأولى : (اللاهوتية) وهى مرت بدورها بثلاث درجات حتى وصلت إلى نهايتها ، بدأت برد كل الظواهر إلى مبدأ عام مشترك ثم جاءت بتعدد الآلهة ، ثم درجة التوحيد ، ويمكننا أن نطلق على المرحلة اللاهوتية مرحلة السلطة ، سلطة الكهنة والملوك .

والمرحلة الثانية : وهى الميتافيزيقا وهى محاولة لمعرفة أصل الأشياء ومصيرها واستكشاف العلل الذاتية فيها وقد عدها مرحلة انتقالية ضرورية للانتقال من اللاهوت إلى العلم الوضعى .

والمرحلة الثالثة : وهى المرحلة الواقعية أو الوضعية وفيها يستعاض عن العلل بالقوانين أى العلاقات المطردة بين الظواهر

---

١ - نقد العقل المجرد ، كانت ، ترجمة أحمد الشيبانى ص ٦٤٧ ، دار اليقظة بيروت سنة ١٩٦٠ م .

وبذلك تختلف تلك الحالة عن الحالتين السابقتين فى الموضوع والتفسير والمنهج وهذه الطريقة هى التى أفلحت فى تكون العلم وبذلك يجب على العلم أن يحل محل الفلسفة (١) .

ورفض الميتافيزيقا هنا يدل على قيام " تيار عاما يشك فى إمكان قيام الميتافيزيقا بما هى كذلك إيمان بوحدانية العلم وقدرته على تزويدنا بتفسير لكل شىء وبمعرفة العلل الأولى و الأخيرة (٢) .

إذن الثورة على الميتافيزيقا كانت سابقة على الوضعية المنطقية ولكنها لم تأخذ هذه الحدة والصرامة إلا على أيدى الوضعية المنطقية فالمشكلة قديمة ، ولكن صياغتها على هذا النحو وتلك الصورة لم تظهر إلا على أيديهم " حتى صار معنى الفلسفة العلم العقلى المنظم " (٣) .

فقد إستغل الوضعيون المناطقة تقدم العلم وعدم تقدم الميتافيزيقا استغلالا يوحى بأن العلوم الخاصة استخدمت منهجاً مثمراً بينما ظل الفلاسفة الميتافيزيقيين فى طريق عقلى مسدود (٤) .

مما سبق نصل إلى أن الوضعية المنطقية رفضت الميتافيزيقا وبالتالى رفضت الكلمات والعبارات الميتافيزيقيةعلى أساس أنها خالية من المعنى ، فهى تحدد الكلمات ذوات المعنى بالكلمات التى تسمى شيئاً بذاته فى عالم الأشياء ، كأسماء الأعلام أو الأسماء

---

١ - تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص ٣١٧ ، ٣١٩ .
٢ - الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، محمود رجب ص ٣٢ .
٣ - المدخل إلى الفلسفة ، أزفلد كوليه ، ترجمة أبو العلا عفيفى ص ١٠ .
٤ - الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٤٣٣ .

Scanned with CamScanner

الكلية التى يدل الواحد منها على مجموعة وصفية قد تتحقق عناصرها فى شىء بذاته من أشياء العالم الخارجى ، أو الكلمات المنطقية مثل " أو " و " إذ " وما إليها مما لا يكون له مدلول خارجى ، لكنه يربط أجزاء الجملة ليجعل منها وحدة ، وماعدا ذلك من الكلمات فهو خال من المعنى .

وقد قلنا : أن الجمل اللغوية تستمد معناها من الكلمات ، ويجب أن يكون فى الجملة رابطة تربط بين أجزائها مما يجعلها رمزاً واحداً له من الخصائص ما ليس لمفرداته .

كما يجب أن تكون الجملة الواحدة دالة على واقعة بسيطة ومحسوسة كذلك ، لكى يمكن مراجعتها على الوقائع المحسوسة على أساس أن معرفة الصدق من عدمه لا يتأتى إلا عندما يمكن مراجعة جملة واحدة على واقعة محسوسة واحدة ، وبهذا فقط يكون للجملة معنى وما عدا ذلك من الجمل فهو فراغ من المعنى .

والآن نبين من خلال نصوص لأنصار الوضعية المنطقية الألفاظ والعبارات الميتافيزيقية التى يرفضونها بحجة أنها خالية من المعنى .

من ذلك ما ذكره " دكتور زكى نجيب محمود " عند تحديده للغاية من كتابه " خرافة الميتافيزيقا " فيقول : (والغاية التى يهدف إليها هذا الكتاب ، هى أن " الميتافيزيقا " كلامها كله فارغ .. لا يرسم صورة ، ولا يحمل معنى وبالتالى لا يجوز فيها البحث واختلاف الرأى ، فلو أردنا أن نقصر كلامنا على ما يكون له معنى وجب اطراح الفلسفة التأملية ، وهو إسم آخر نطلقه على الأبحاث الميتافيزيقية ، وما يدور مدارها من صنوف التفكير ،

Scanned with CamScanner

بحيث لا يبقى بين أيدينا فى دائرة العلم إلا العلوم الطبيعية والرياضية) (١) .

ويقول أيضاً : (الغاية الرئيسية من هذا الكتاب هى بيان أن العبارات الميتافيزيقية خلو من المعنى ، مع تحديد " الميتافيزيقا " بأنها البحث فى أشياء لا تقع تحت الحس ، لا فعلاً ولا إمكاناً لأنها أشياء بحكم تعريفها لا يمكن أن تدرك بحاسة من الحواس ، ومن بين هذه الأشياء غير المحسة التى يكتب عنها الفلاسفة الخير والجمال ، ولذلك فنحن نسلك العبارات التى تتحدث عن الخير وعن الجمال فى زمرة الميتافيزيقا – بالمعنى الذى حددناه لها - وبالتالى فإننا نرى العبارات التى تتحدث عن هاتين القيمتين فى الأشياء – قيمة الخير وقيمة الجمال – الخالية من المعنى ولا تصلح أن تكون علماً ولا جزءاً من علم) (٢) .

وبذلك قد حدد " دكتور زكى نجيب محمود " الغاية من الميتافيزيقا ثم رفضها ، إذن الميتافيزيقا المرفوضة هى الحديث عن كل ما لا يحس فعلاً أو إمكاناً ، كذلك رفض القيم ومنها الخير والجمال ، لأن عباراتها ميتافيزيقية خالية من المعنى على اعتبار أنها لا تدل على محسوس بالفعل أو بالإمكان .

ننتقل إلى نص آخر يؤكد فيه " دكتور زكى نجيب محمود " رفضه للميتافيزيقا من خلال تعرضه لمسألة الوجود المطلق ، فيقرر أن دراسة الوجود المجرد سابق من الناحية المنطقية على أساس أنه قبل أن يعرف وجود شىء من الأشياء ينبغى أن يعرف

---

١ ـ خرافة الميتافيزيقا – دكتور زكى نجيب محمود ص٣ .
٢ ـ المصدر السابق ص ١١٣ .

الوجود المجرد – تلك الصفة المشتركة بين الأشياء - وإذا كان الوجود المجرد مقدماً من الناحية المنطقية فإنه هو العلم السامى الذى يجب أن يعد دارسى العلوم الجزئية نفسه إلى دراسته فى نهاية الأمر على أساس : أن كل ما عداه من دراسات جزئية هو وسيلة إليه .

بعد أن يقرر " دكتور زكى نجيب محمود " هذا يقول : (هذا " العلم الأول " و " العلم الأخير " هو نفسه " اللاهوت " لأنك إذ تبحث فى الوجود الخالص فإنما تكون باحثاً فى طبيعة " الله " وذلك هو موضوع الميتافيزيقا كما يصوره " أرسطو " وإذن لو تخيرنا عبارات مما تقوله الميتافيزيقا بمعناها هذا ، ثم لو ظهر لنا تحليل هذه العبارات أنها كلام فارغ خال مما يجعل للعبارة معنى ، فلن يكون من حق الناقد أن يقول أننا قد اخترنا جانباً يؤيد مذهبنا ، وكان يمكن أن يختار جانباً آخر لا يؤيده ، على أننا نفضل فيما يأتى أن نجعل كلامنا عن " المطلق " لا عن " الله " إذ الموضوع الذى يناقشه كبار الفلاسفة حين يناقشون فكرة " وجود الله " لا يمت إلا بصلة واهية – ذلك إن كانت هنالك صلة على الإطلاق – " لله " كما تفهمه الأديان وإنما هو فكرة من تركيب العقل ، وذلك يحسن استخدام المصطلح الفلسفى وهو كلمة " المطلق " بدل اللفظة الدينية " الله "فى سياقنا هذا) (١) .

وهكذا يقرر " دكتور زكى نجيب محمود " أن علم الوجود فى الفلسفة هو نفسه علم اللاهوت ، على أساس أن البحث فى الوجود المجرد هو بحث فى طبيعة الله ، وهو نفسه تصور أرسطو

---

١ - المصدر السابق ص ٧٣ .

الميتافيزيقا ، ويحاول أن يختار عبارات من هذا القول لكي يبين أنها فارغة المعنى لكي يؤيد موقفه ، فكأنه يريد أن يقول : أن نختار مثل هذه العبارات لإثبات أنها فارغة المعنى هو أمر غاية في السهولة ، ويختار أن يكون حديثه عن كلمة " المطلق " التي تستعمل في الفلسفة بمعنى الله ، وإن كانت في نظره لا تتصل بفكرة الإله كما تفهمه الأديان - على حد قوله - .

وهكذا يرى أن الكلمات والعبارات التي تستخدم فيها كلمة " مطلق " أو " وجود " التي تتصل بعلم اللاهوت هي عبارات فارغة من المعنى .

وبنى على هذا الأساس من الميتافيزيقا المرفوضة . ولكن كيف يتحدث عن رفضه للمطلق الذي اختار أن يكون حديثه بدلاً من الحديث عن الله ، فهو يقول : أما أن الميتافيزيقي يقول كلاماً مستمداً من الخبرة الحسية ، ويمكن الرجوع إلى الخبرة الحسية في تحقيقه .

فذلك ما لا أظن أحداً يزعمه ، لأن " المطلق " ليس يرى بالعين أو يسمع بالإذن أو يحس بآية حاسة أخرى ، أنه إن كان بين المحسات (١) أصبح محدداً بمكان معين وزمان معين وصفات معينة ولم يعد " مطلقاً ") (٢) .

ومهما يكن من أمر هذا المطلق فإنه لا يجوز أن نسأل عن كائن غير محدد بزمان أو مكان ، يقول دكتور / زكي نجيب محمود :

---

١ - هكذا جاءت في النص ولكني أتصور أنه يقصد المحسوسات .
٢ - المصدر السابق ص ٨٠ وانظر نحو فلسفة علمية ص ٧٠ - ٧١ .

بعد أن يفرق بين نوعين من المشكلات وهما المشكلات الصعبة الحل – لكن حلها ممكن – والمشكلات المستحيلة الحل استحالة منطقية ، فيقول : (وأما السؤال الثانى الذى نسأل به عن كائن فيما وراء المكان والزمان ، أى كائن لا يكون له الوضع ولا تكون له لحظة من زمن ، فاستحالة الإجابة عنه منطقية لا عملية ، فالذى ينقصنا هنا ، ليس هو الوثائق التى نستند إليها ، بل تنقصنا وسائل التصور ذاتها ، إذ ليس فى خبراتنا أبداً ما يعيننا على تصور كائن لا يكون وجوده فى نقطة من المكان أو فى لحظة من زمن .إننا نرفض المشكلات الميتافيزيقية لا لصعوبة حلها. بل لأنها مشكلات زائفة فهى بمثابة أسئلة يستحيل منطقياً أن يكون لها جواب [١] .

إذن أنصار الوضعية المنطقية يعتبرون (كلام الميتافيزيقا فارغ لا يحمل معنى ويقولون أن تعريف الجملة الميتافيزيقية : هو أنها عبارة يريد بها أن تعبر عن قضية حقيقية . لكنها فى حقيقة أمرها لا تعبر هى بمعبر عن تحصيل حاصل ، ولا عن فرض تحققه التجربة . ولما كانت تحصيلات الحاصل ، والفروض التجريبية تستنفذ كافة القضايا ذات المعنى ، كان لنا ما يبرر التأكيد بأن ما تقوله الميتافيزيقا خالى من المعنى . يزعم لنا الميتافيزيقى إنه قد جاءنا بعلم عن الحقيقة التى لا تدخل فى نطاق الطبيعة المحسوسة المشهودة ، إذ هو يحدثنا عن " أشياء " تجاوز عالم الشهادة والحس ، فنسأله من أى المقدمات استخلصت نتائجك التى انتهيت

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ٧٠ – ٧١ .

إليها ؟ أليس يتحتم عليك كما يتحتم على سائر الناس أن تبدأ بشهادة حواسك ؟وإن كان ذلك كذلك فكيف يجوز أن تستنبط من مقدمات حسية نتائج عن حقيقة أخرى خارجة عن نطاق الحواس ؟ إنك إذا بدأت بمقدمات تجريبية وحصرت نفسك فيما تنبنك به فيستحيل أن تستدل على وجود " شيء " أو " صفة " مما يخرج عن نطاق التجربة [١] .

والوضعية المنطقية بناء على رفضها الميتافيزيقا – بالرغم من أنها تنشد الحقيقة اليقينية ، وترى أن الموجودات يمكن وصفها بأنها حقيقة ، سواء كانت محسوسة أو غير محسوسة ، وتصف الأشياء المطابقة للواقع بأنها حق – فإنها تقلب الحقائق وتقول :

أن " الحق " صفة لا تصف بها شيئاً من الواقع نفسه ، بل تصف بها " اعتقادا " لدى فرد من الناس عن ذلك الواقع ، وبالتالى تصف بها " عبارة " يقولها صاحب الاعتقاد ليعبر بها عن اعتقاده ، فليس " الحق " فى ذاته كائناً موضوعياً خارجاً حتى يجوز للفلاسفة أن يبحثوا فيه على هذا الاعتبار ، بل هو " علاقة " بين الاعتقاد من جهة وبين الأمر الواقعى المعتقد فيه من جهة أخرى ، وتكون علاقة الحق قائمة بين طرفيها حتى يكون بين طرفين تطابق بأى معنى من معانيه ، فالاعتقاد الحق هو ماله طرف خارجى يشير إليه ، والاعتقاد الباطل هو ما ليس له طرف

---

١ - خرافة الميتافيزيقا ص ٥ – ١٧ .

خارجى يشير إليه أو هو ما يشير إلى طرف خارجى إشارة لا تكشف عن طبيعته على نحو ماهى قائمة [١] .

وبذلك نصل إلى الوضعية المنطقية تهدف إلى دراسة اللغة من خلال الأشياء المحسوسة ، وترفض الميتافيزيقا ومنها المطلق والقيم والأخلاق وكل العلوم المعيارية .

والآن بعد هذا العرض الموجز للفلسفة الوضعية نبين فكر أهم أعلام هذه الفلسفة وهو رودولف كارناب ، ودوره فى الوضعية المنطقية .

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ٢٦٠ .

Scanned with CamScanner

الفصل الثانى
رودولف كارناب ودوره
فى الوضعية المنطقية

رودولف كارناب كان ومازال أشهر أعلام الوضعية المنطقية لذلك وقع اختياري عليه كنموذج لهذه الحركة الفلسفية التى مازال لها ممثلون فى مختلف البلدان .

سيرة كارناب :

ولد رودلف كارناب فى ألمانيا عام ١٨٩١ ، وفى أثناء دراسته أظهر نبوغاً فائقاً فى الرياضة والعلوم الطبيعية ، ثم بعد ذلك تحول إلى الفلسفة فقرأ الكثير من كتب المنطق والفلسفة القائمة فى الرياضة ، وأعجب إعجاباً شديداً بكتاب (المبادئ الرياضية) (سنة ١٩١٠ – سنة ١٩١٣) لوايتهد ورسل .

وبعد ذلك انتقل اهتمامه إلى الوضعية المنطقية عندما استمع إلى محاضرات أستاذه موريتس شليك فى جامعة فيينا عام ١٩٢٠ ضد " الفلسفة المثالية " وانضم كارناب إلى الفلاسفة الملتفين حول شليك وعمل كارناب على نشر الوضعية المنطقية مع زملائه من أمثال فيزمان Vais Mann ، وهان Hahn ، منجر Menger ... ، ثم بعد ذلك عين كارناب محاضراً فى الفلسفة بجامعة فيينا عام ١٩٢٦ ، فأصبح بمثابة الزعيم الروحى لحركة " الوضعية المنطقية " وكان له دور كبير فى نشأة " حلقة فيينا " واتساع دائرتها .

وبعد ذلك ترك كارناب فيينا لكى يشغل منصب أستاذ الفلسفة بجامعة براج ، ثم قدمت جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية عرضا على كارناب لكى يصبح أستاذا بها عام ١٩٥٤ وقبل ذلك العرض ، ثم أنتقل بعد ذلك إلى جامعة كليفورنيا وظل يدرس فيها الفلسفة والمنطق وعلم اللغة [١] .

فلسفة كارناب :

فلسفة كارناب لها اتجاهات متعددة ولذلك جاء إنتاجه ضخم يكاد يستوعب معظم دوائر " الفلسفة العلمية " ولكنه فى بداية عهده بالتفلسف وجهه اهتمامه بالمشكلات الفلسفية الخاصة بعلم الفيزياء والهندسة كما يبدو ذلك من كتابه (المكان) عام ١٩٢٨ وكتابه " تكوين المفاهيم الفيزيائية " عام ١٩٢٦ ثم بعد ذلك ألف كتابه " التركيب المنطقى للعالم " الذى يعد بمثابة النشأة الحقيقية للوضعية المنطقية ، وبعد ذلك كتب فى شتى مجالات الفلسفة العلمية ، ومن ذلك كتابه " وحدة العلم " عام ١٩٣٤ ، وكتابه " قابلية الإختيار والمعنى " ضمن المجلد الضخم الذى نشر عامى ١٩٣٦ – ١٩٣٧ تحت عنوان " فلسفة العلم " ثم صدر له كتاب بالألمانية عام ١٩٣٤ بعنوان " التركيب المنطقى للغة " ، وقد ترجم إلى الإنجليزية ، ثم كتاب " أسس المنطق والرياضة " عام ١٩٣٩ ، واتجه كارناب بعد ذلك إلى دراسة علوم اللغة فكتب " المدخل إلى علم دلالات الألفاظ وتطورها " عام ١٩٤٢ ، و

---

١ - أنظر دراسات فى الفلسفة المعاصرة – دكتور زكريا إبراهيم حـ ١ ص ٢٦٨ – ٢٦٩ الناشر مكتبة مصر .

" المعنى والضرورة " عام ١٩٤٧ ، وكتب أيضاً عام ١٩٥٠ فى " منطق الاحتمال وله مقالات أخرى عديدة [١] .

والآن نلقى الضوء على بعض القضايا والموضوعات التى بحثها كارناب

١ – القضايا التحليلية والقضايا التأليفية :

يقرر كارناب فى الفصل الأول من كتابه " الفلسفة والتركيب المنطقى " أن القضايا الرياضية وقضايا العلم الطبيعى هى التى تنطوى على معنى فى حين أن كل ما عداها من قضايا خلو من كل معنى نظرى ، ولكن كارناب لم يوجه إهتماماً كبيراً للقضايا الرياضية أو " التحليلية " (كما يسميها الوضعيون المناطقة أحياناً) بل وجه معظم اهتمامه إلى دراسة القضايا " التأليفية " وهى القضايا التى لا تتحدد قيمة " الصدق " المتضمنة فيها عن طريق الرجوع إلى شكلها المنطقى . وهذه التفرقة التى يقيمها الفلاسفة الوضعيون المناطقة بين القضايا التحليلية والقضايا التأليفية هى بمثابة نوعين من المعرفة : معرفة ترتبط بأشكال الفكر وقواعد اللغة ، ومعرفة أخرى تربط بين أمور الواقع وظواهر التجربة . ولنضرب لذلك مثلاً نقول أن ثمة فارقاً كبيراً بين أن يقرر المرء أنه " إما أن تكون الكرة حمراء وإما ألا تكون حمراء " وأن يقرر أن " الكرة الحمراء " . ففى الحالة الأولى نحن نستطيع أن نعرف أن القضية صادقة ، دون النظر إلى الكرة أصلاً

---

١ - أنظر المصدر السابق ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

، لأننا هنا بازاء قضية صادقة بمقتضى صورتها المنطقية ، فى حين أننا فى الحالة الثانية لا نستطيع أن نعرف ما إذا كانت القضية صادقة أم كاذبة ، اللهم إذا عمدنا إلى فحص الكرة بالفعل .

والقضية التى تكون صادقة أو كاذبة بمقتضى شكلها أو صورتها فقط هى قضية تحليلية ، فى حين أن القضية التى تحدد قيمة الصدق فيها بمقتضى بعض الوقائع (غير اللغوية) هى قضية تأليفية .

وكارناب يذهب إلى أن القضية التأليفية الوحيدة التى تنطوى على معنى إنما هى تلك القضايا التى تتحدد " قيمة الصدق " فيها بالرجوع إلى بينة الحس . وكل هذه القضايا محصورة فى نطاق العلم التجريبى .

ويقرر كارناب أن القضية تكون قابلة للتحقيق إذا كانت قيمة الصدق المشتملة عليها مما يمكن تحديده عن طريق الرجوع إلى الخبرة الحسية . وتبعاً لذلك فإن القضايا التأليفية الوحيدة التى تنطوى على معنى أو دلالة ، هى تلك القضايا التى تقبل التحقيق أو التثبت ، وهى جميعاً قضايا علمية ، وهذا هو معيار التحقيق لأى معنى تجريبى .

ويقرر كارناب فى كتابه " الفلسفة والتركيب المنطقى " أنه لما كان معنى آية عبارة منحصراً فى مجموع العمليات التى نتحقق عن طريقها من صحة تلك العبارة ، فإن أى قضية لا يمكن أن تشمل إلا على ما هو قابل للتحقيق ، وبالتالى ماهو واقعة من وقائع التجربة .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

وإما إذا كان ثمة شيء فيما وراء التجربة ، فإن هذا الشيء بالضرورة – وبحكم ماهيته نفسها – لن يكون قابلاً للصياغة أو التعقل .. " [١] .

ومهمة الفلسفة فيما يرى كارناب : هى التحليل المنطقى للغة ذات المعنى أو الدلالة و المقصود باللغة ذات المعنى أو الدلالة هو القضايا التحليلية (قضايا المنطق والرياضة) من جهة ، والقضايا التأليفية القابلة للتحقيق تجريبياً (قضايا العلم الطبيعى) من جهة أخرى .

وبذلك يستبعد كارناب بعض جوانب الفلسفة التقليدية من مجال التفكير الفلسفى ، بوصفها مباحث غير مشروعة ، مثل الميتافيزيقا والأخلاق وسائر العلوم المعيارية .

---

١ - R.Carnap Alascience et la Metophgsigue Lard France .Paris - Hermann ,Co,1934 PP.36-37
أنظر كتاب دراسات فى الفلسفة المعاصرة حـ ١ ص ٢٧١ .

Scanned with CamScanner

٢- نظرة كارناب إلى الميتافيزيقا :

يؤكد كارناب على أن القضايا الميتافيزيقية فارغاً تماماً من كل معنى ، ويذكر نماذج للقضايا الميتافيزيقية مثل " ثمة إلها " أو أن " العلة الأولى للعالم هى اللاشعور " أو أن ثمة " قوة فاعلية هى المبدأ الموجه لسائر الكائنات الحية " ، ويقول أن الفيلسوف الوضعى لا يزعم أن أمثال هذه القضايا كاذبة ، ولكن حين يتحدث الفلاسفة الميتافيزيقيون عن الماهية الحقيقية للأشياء " أو عن " الأشياء فى ذاتها " أو عن " العدم " .. الخ ، فإن الفيلسوف الوضعى المنطقى لا يسعه سوى الاعتراف بأن كل هذه العبارات فارغة تماماً من كل معنى .

والسبب فى ذلك أن كل القضايا الميتافيزيقية ليست قضايا تحليلية ، كما أنها فى الوقت نفسه لا تقبل التحقيق تجريبياً ، فهى لا يمكن أن تكون إلا مجرد " أشباه قضايا Pseudo propesilions . ومعنى ذلك أن الفيلسوف الميتافيزيقى يجد نفسه مضطر إلى إستخدام ألفاظ لا ضابط لها ، ولا طائل تحتها ، إن لم نقل أنها ألفاظا خالية من كل معنى .

هذا إلى أن الميتافيزيقيين واللاهوتيين يظنون أن عباراتهم تقرر أشياء ، أو تحتوى على مضامين ، فى حين أنها قضايا فارغة لا تشير إلى شىء ولا تعنى شيئاً .

فحينما قال " هيدجر " أننا نعرف العدم " فقد إستخدم لفظ " العدم " كاسم فى حين أن الكلمة لا تشير إلا إلى عملية النفى أو السلب فى مضمار المنطق .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

وكثيراً ما نلتقى فى كتب الفلاسفة الميتافيزيقيين بإصطلاحات هجينة كقولهم مثلاً : " وجود الوجود " أو " فكر الفكر " أو ما إلى ذلك من العبارات الفارغة تماماً من كل معنى ! ولو تسهل الفيلسوف الميتافيزيقى قليلاً ، لأدرك أولاً أن الوجود ليس محمولاً " أو صفة " وأنه ليس من حقه أن يطبق تلك الصفة على نفسها ، اللهم إلا إذا كان فى إمكاننا أن نتحدث عن " طول الطول " وهلم جر ! فضلاً عن ذلك ، فأنه ليس هناك أدنى معنى لكل تلك الخلافات التى طالما قامت بين الفلاسفة حول المثالية ، والواقعية ، والظاهرية ، والوضعية ، وما إلى ذلك : لأنه ليس ثمة معنى تجريبى لمشكلة المعرفة ، مادام من المستحيل تجاوز دائرة الواقعية التجريبية ، أو العلو على نطاق الظواهر .

ويقول كارناب وجماعة الوضعيين المناطقة أن العبارات الميتافيزيقية المزعومة هى تركيبات لغوية فارغة تتعارض مع الاستعمال الحقيقى للكلمات من جهة وتضم فى الوقت نفسه قضايا زائفة لا تقبل التحقيق التجريبى (الذى هو المعيار الأوحد لصدق القضايا التأليفية) من جهة أخرى .

يقول كارناب أنه لابد لنا من التفرقة بين وظيفيتين مختلفتين للغة : فإن اللغة قد تعنى شيئاً ، أو قد تعبر عن بعض العواطف والرغبات .

والفلسفة الكلاسيكية قد دأبت على الخلط بين هاتين الوظيفتين ، مما ترتب عليه أن أصبحت ألفاظ الفلاسفة معبرة عن مجرد عواطف لا دالة على معانى ولكن الفلاسفة الميتافيزيقيين قد ظلوا

Scanned with CamScanner
يمكن تحويل الـ CamScanner

يتوهمون أن عباراتهم تمثل " قضايا " منطقية تقبل البرهنة ، فى حين أنها مجرد تعبيرات عاطفية تكشف عن انفعالات ومشاعر دفينة ، ولا تنطوى على دلالات أو معان منطقية .

ولكن لماذا تمسكت الإنسانية بالقضايا الميتافيزيقية كل هذا الوقت الطويل بالرغم من أنها أشباه قضايا كما يقول المناطقة الوضعيون ؟ .

ويرد كارناب على هذا السؤال قائلاً : أن الميتافيزيقا لا تنطوى على نظريات ، كما أنها لا تشمل على قضايا علمية ، ولكنها مع ذلك تعبر عن شيء ما ، وهذا الشيء التى تعبر عنه ليس سوى الشعور بالحياه فالميتافيزيقى أقرب ما يكون إلى الشعر والأساطير ، وإن كان الفرق بين الميتافيزيقى والشاعر أن الأول منهما لا يريد أن يعترف بأن أقواله وليدة الانفعال والعاطفة فى حين أن الثانى منهما يسلم بأن شعره أداة فنية يعبر بواسطتها عن شعوره بالحياة .

والحق أن الموسيقى أقدر من الفلسفة على التعبير بالحياة ، أن لديهما من جهة وسائط أنقى ، ولأنها من جهة أخرى متحررة تماماً من كل ما هو موضوعى .

والميتافيزيقيون – فى واقع الأمر – ليسوا إلا موسيقيين قد عدموا كل موهبة موسيقية ، فهم يحاولون التعويض عن هذا النقص بما لديهم من ميل شديد نحو العمل فى مجال النظريات ، والإتجاة نحو التأليف بين الأفكار والمفاهيم .بينما يعبر الموسيقار بانسجام عن شعوره بالحياة يظل الميتافيزيقى عاجزاً عن التعبير

Scanned with CamScanner
تم تحويل هذا الملف بواسطة CamScanner

بمفاهيمه وأنظاره العقلية عن ذلك الشعور الحيوى . ويصر الميتافيزيقى على الخلط بين الميلين ، فلا يكاد عمله الفلسفى تضيف شيئاً إلى عالم المعرفة ولا يقوى فى الوقت نفسه على تزويد شعورنا بالحياة ، اللهم إلا بتعبير قاصر شديد النقص [١] .

هذا هو موقف كارناب من الميتافيزيقا ، ونجده يتخذ نفس الموقف من الفلسفة الأخلاقية ، فإذا كان فتجنشتين قد استبعد فى " رسالته المنطقية الفلسفية " شتى النظريات التقليدية فى الأخلاق ، فإن كارناب يقول : أنه لا يمكن أن تكون ثمة قضايا أخلاقية .

ويقول : والحق أن الفلسفة الأخلاقية التقليدية لا تنطوى على أى بحث فى الواقع ، بل هى بحث مزعوم فيما هو خير وما هو شر ، أعنى فيما يصح عمله وما لا يجوز عمله ، ولو أننا نظرنا إلى إلى العبارات الأخلاقية على أنها تعبر عن قضايا ، لكان فى وسعنا أن نقول أنها لا تعبر عن شىء قابل للتحقيق تجريبياً ، وتبعاً لذلك فإنها عبارات ميتافيزيقية خالية من أى معنى وربما كان هذا التفسير المعقول لهذه العبارات هو أن يقال أنها تعبر عن رغبات أو أوامر أو وصايا [٢] .

١- Carnap :"la science etla Metaphysique 1934 p.44
أنظر دراسات فى الفلسفة المعاصرة حـ ١ ص ٢٧٢ – ٢٧٥ .
٢- أنظر دراسات فى الفلسفة المعاصرة حـ ١ ص ٢٧٥ .

Scanned with CamScanner

٣- التركيب المنطقى والدراسة الفلسفية العامة للغة :

يميز كارناب فى كتابه " أسس المنطق والرياضة " بين نوعين من اللغة هما : لغة تدور حول اللغة ولغة لا تدور حول اللغة ، فحينما ينطق المرء بعبارة مثل : " أن الكرة حمراء " يكون قد إستخدم جملة لغوية يتحدث فيها عن العالم الواقعى مادامت عباراته تنبئنا بشىء عن الكرة .

ولكن فى استطاعة المرء من بعد أن يعود فيتحدث عن القضية التى تشير إلى الكرة الحمراء فيقول مثلاً : " أن القضية القائلة بأن الكرة حمراء تتضمن ثلاث ألفاظ " وفى هذه الحالة لا تكون القضية التى نحن بازائها قضية تدور حول موضوع ما ، بل قضية تدور حول القضية نفسها .

واللغة التى تدور حول اللغة هى ما يسميه كارناب باسم " ما وراء اللغة " Meta – language فى حين أن اللغة التى تدور حول موضوعات هى ما يسميه كارناب بإسم " لغة الموضوع " Opject language ، ويقسم كارناب الدراسة الفلسفية العامة (وهى ما يطلق عليه السيموطيقا) إلى ثلاثة أقسام : البرجماطيقات Pragmatics ، والسيمانطيقات Semantics ، ثم التركيب أو البناء Sgntaxs .

وحين يتحدث كارناب عن السيموطيقا Semiotic فإنه يعنى بإنها تلك النظرية العامة فى " لغة الموضوع " على نحو ما يمكن صياغتها فى عبارات " ما وراء اللغة " .

Scanned with CamScanner

أما الفرع الأول من السيموطيقا وهو البرجماطيقيات :

فهو عبارة عن دراسة تجريبية لعناصر ثلاثة يمكن التمييز بينها فى نطاق عملية إستخدام أية لغة من اللغات ، ألا وهى العلامات اللفظية ، والمعانى (أو مايسميه كارناب باسم الدلالات Designata التى تنطوى عليها تلك العلامات ثم المستخدمون لتلك العلامات .

والدراسة البرجماطيقية للغة تشتمل على هذه العناصر الثلاثة جميعاً .

وأما الدراسة السيمانطيقية :

فهى عبارة عن عملية تجريد نقوم بها ابتداء من " الدراسة البرجماطيقية " . والباحث السيمانطيقى يحصر كل إهتمامه فى الألفاظ أو العلامات ، مع العناية فى الوقت نفسه بدلالاتها أو معانيها ، فالدراسة السيمانطيقية تركز كل إهتمامها حول العلامات ودلالاتها .

ويقسم كارناب السيمانطيقا إلى ضربين هما سيمانطيقا وصفية وهى عبارة عن دراسة تجريبية للعلامات ومعانيها الواقعية المستخدمة بالفعل فى الاستعمال العادى من جهة ، وسيمانطيقا محضة لا يمكن إعتبارها دراسة تجريبية ، بل هى دراسة معيارية تضع قواعد العلامات وتحدد معانيها الصحيحة من جهة أخرى .

والنسق السيمانطيقى الخالص الذى يقصده كارناب هو لغة إصطناعية تتكون من قواعد تحدده تنص على بعض الدلالات ،

Scanned with CamScanner

وتشير إلى مجموعة من العلامات اللغوية .

ويضرب كارناب مثلاً لعبارة سيمانطيقية صرفة ، فيقول بأن العبارة القائلة بأن " الصفة اللفظية " " واسع " تشير إلى خاصية الاتساع بالمعنى المادى " هى عبارة سيمانطيقية صرفة تبين انا كيف ينبغى أن تستخدم كلمة " واسع " فى نطاق لغة اصطناعية معلومة . فلو أننا تحدثنا عن " مستوى واسع " أو " رتبة واسعة " لكان هذا التعبير اللغوى تعبيراً خاطئاً فى نطاق " النسق السيمانطيقى " الذى وردت فيه القاعدة السابقة .

وأما " التركيب " أو " البناء اللغوى " : Syntax فهو يمثل فى نظر كارناب درجة أعلى من درجات التجريد . فهو يغفل دلالات العلامات ، ويتجاهل القائمين على استخدام تلك العلامات ، من أجل التوقف عند العلامات وحدها مع الاهتمام بدراسة " القواعد " التى يمكن بمقتضاها التأليف بين تلك العلامات وتداولها .

وبذلك يمكن أن نقول أن الدراسة " البرجماطيقية " هى أشبه ما تكون بعملية وضع معجم للإستعمال العادى ، فى حين أن الدراسة السيمانطيقية هى أشبه ما تكون بعملية تحديد التعريفات الدقيقة الواضحة للألفاظ ، فى مؤلف اصطلاحي أو رسالة تكتيكية خاصة ، بينما الدراسة التركيبية هى أشبه ما تكون بعملية تكوين لجهاز شكلى (أو مجموعة صورية) من القواعد المنطقية .

ويقسم كارناب القواعد التى تنطوى عليها هذه النظرية الصورية المحضة إلى نوعين :

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

قواعد تكوين أو صياغة Farmation Rules

وقواعد تعديل أو تحويل Trans Formation Rules

وقواعد الصياغة أو التكوين هى فى الواقع تلك القواعد التى تحدد ما ينبغى اعتباره " جملة سليمة " . ونحن نلتزم فى العادة قواعد صياغة ضمنية تشتمل عليها كل لغة من اللغات .

وأما قواعد التحويل والتعديل فهى تحدد ضروب التداول أو التعامل التى يمكن القيام بها ، ابتداء من العبارات السابقة (ذات الصياغة السليمة) التى توصل إليها عن طريق قواعد الاستنباط المنطقى ، معبراً عنها بلغة التركيب النحوى .

ويقرر كارناب أن للتركيب المنطقى حدين بدائيين هما " الجملة " و " النتيجة المباشرة " ومعنى هذا أن مهمة التركيب مزدوجة : فهنالك من جهة عملية تحديد الجمل السليمة ، وهناك من جهة أخرى عمليات استخلاص النتائج المنطقية المترتبة عليها .

واهتم كارناب بحدود تركيبية أخرى مثل كلمة " صحيح " أو " شرعى " Valid التى تكاد تساوى كلمة " تحصيل حاصل " وكلمة " غير صحيح " أو " غير شرعى " Contra valid التى تكاد تساوى عنده مفهوم " التناقض الذاتى " وهاتان الفئتان من الجمل (الصحيحة وغير الصحيحة) تكونان فى نظره فئة (الجمل المحددة) Delerminate فى أن كل ماعداها " جمل غير محددة " Imdeter minate .

Scanned with CamScanner

ونلاحظ أن كارناب يحرص على تجنب الحدين المنطقين الأساسين " صادق " و " كاذب " نظراً لأن هذين الحدين يتوقفان على مسألة معنى القضايا التى يقال عنها أنها صادقة أو كاذبة .

أيضاً نجد أن كارناب يستبدل مفهوم " التضمين " أو " الاستغراق " Implication المستخدم عادة فى المنطق الصورى ، بمفهوم " النتائج المباشرة " .

وإذا كان كارناب قد اعتبر " التركيب " نظرية شكلية أو صورية ، دون الاهتمام بمسألة معنى الكلمات أو الجمل ، فإنه لذلك لم يوجه أدنى اهتمام إلى الموضوعات التى تدور حولها اللغة. ومعنى هذا أنه لايعالج فى دراسته مسائل الفيزياء أو الكيمياء أو علم الأحياء . بل هو يقصر كل اهتمامه على عملية تداول بعض الرموز التى يمكن أن تنسب إليها فيما بعد بعض المعانى ، بحيث تصبح كلمات أو جملاً فى نظرية من نظريات الكيمياء أو الفيزياء أو علم الأحياء .

لكن المهم عند كارناب أنه أقام تفرقة واضحة – كما يذكر – بين عمل الفيلسوف المنطقى من جهة ، وعمل العالم من جهة أخرى .

علاوة على ذلك فإن الفيلسوف المنطقى حين يدع جانباً معانى الكلمات والعبارات فإنه يستطيع عندئذ أن يركز كل اهتمامه حول المسائل المنطقية الصرفة ، متجنباً بذلك تلك المآذق أو الورطات التى طالما وقفت عائقاً فى سبيل تقدم العلوم .

Scanned with CamScanner

وليس من شك فى أن الفيلســـوف المنطقى حين يقصر نشـاطه على الاهتمام بتحليل اللغة وتوضيح الرمـوز المنطقيـة ، فإنـه يقـدم خدمـة كـــبرى للعـالم نفســه ، إذ يكشـف عـن الأخطـاء العديـدة والأخطار الكثيرة التى تعرضت لها الفلسفة التقليدية [١] .

يقول كارناب : أن الفلسفة عنده وعند جماعته هى علـم المنطـق ، لكن ما هو علم المنطق ؟

ينقسم علم المنطق إلى قسمين :

علم المنطق النظرى وهو المنطق الرمزى و الريـاضى ، وعلـم المنطق التطبيقى وهو ما يمكن أن نسميه بمنطق العلوم .

وهذا القسم الأخير هو الذى اهتمـت بـه بنـوع خـاص الوضعيـة المنطقية . وهـو عبـارة عن تحليـل الحـدود والقضايـا والنظريـات الموجودة فى مختلف العلوم تحليلاً منطقياً [٢].

---

١ - Carnap : philosophy and logical syntax , 1953 , ch 11 .

٢ - الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان ، الدكتور يحى هويدى ص ١٥٩ نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٢ م .

Scanned with CamScanner

٤- الفلسفة التقليدية فى نظر كارناب ومشكلة الكليات :

لكى نتعرف على موقف كارناب من الفلسفة التقليدية لابد أن نقف عند ما سماه بـ " الجمل الموضوعية الزائفة " .

فى هذا الصدد يقرر كارناب أن العديد من المآزق التى طالما وقع فيها الفلاسفة ، ترجع إلى أنهم عمدوا إلى التأليف بين محمولات أو " صفات " ذات علاقة لغوية سليمة وموضوعات خارجة تماماً على التركيب اللغوى الصحيح والنتيجة التى يتوصل إليها فى العادة هؤلاء الفلاسفة إنما هى الخلط بين الأحكام المصاغة بلغة الموضوع ، والعبارات المصاغة بعبارات " ما وراء اللغة " .

وليس من شك فى أن هذا الخلط هو المسئول عن انتشار العديد من الخلافات الفلسفية حول بعض المشكلات الميتافيزيقية الكلاسيكية ، مثل مشكلة " الكليات " ويضرب كارناب مثالاً لذلك الخلط فيقول : العبارة القائلة بأن " الوردة حمراء " هى جملة موضوعية حقيقية ، صيغت على الطريقة المادية فى الحديث وأما العبارة القائلة بأن " الوردة شىء " فهى شبه جملة موضوعية .

وأما العبارة القائلة بأن " كلمة وردة تشير إلى شىء " فهى جملة سليمة لغوياً ، ولكنها قد صيغت على الطريقة الصورية فى الحديث .

والمتأمل فى هذه العبارة الأولى من العبارات الثلاثة يلاحظ أنها لا تثير أى خلاف ، لأنها جملة حسية يفهمها كل شخص منا ،

Scanned with CamScanner

ويعرف السبيل إلى استخدامها ، كذلك ليس هناك خلاف فى الجملة الثالثة ، وإن كان غالبية الناس لا يستخدمون هذه العبارات ، أما العبارة الثانية فإن الفلاسفة طالما اصطنعوها فى تعبيراتهم ، متوهمين بذلك أنهم يتحدثون بالفعل عن " موضوعات " فى حين أن العبارة الثانية لا تنبئنا فى الحقيقة بأى شىء عن الوردة .

ومثل هذا الحديث الغامض عن " أشياء " أو " كائنات " مزعومة هو الأصل فى تلك المناقشات الميتافيزيقية العقيمة التى طالما ثارت بين الفلاسفة حول " المعانى " أو " الكليات "

يقول كارناب :

الأصل فى " أشباه المسائل " أو " المشكلات الزائفة " إنما هى أمثال هذه " العبارات الموضوعية الزائفة " Pseudo object sentences ، وإذا كان من شأن الوضعية المنطقية أن تجنبنا خطر الوقوع فى أمثال هذه " المشكلات الزائفة " فذلك أنها تضع بين أيدينا وسائل تكتيكية فعالة للكشف عن أخطاء الفلاسفة السابقين ، وبالتالى مساعدتنا على إحراز تقدم حقيقى فى مضمار التفكير الفلسفى.

ويضرب كارناب مثلاً لذلك ، فيقول :

إن مشكلة " الكليات " ليست مشكلة حقيقة ، بل هى " شبه مشكلة " تترتب على الخلط بين " الطريقة المادية " فى الحديث و " الطريقة الصورية " فى الحديث ، وآية ذلك أننا حين نقول " إن الوردة شىء " فإننا ننطق بعبارة موضوعية زائفة .

Scanned with CamScanner
يمكن تحويل الـ CamScanner

وعلى حين أن من حقنا أن نصطنع الطريقة الصورية فى الحديث عن الألفاظ بوصفها صفات Predicate word فإنه ليس من حقنا أن نصطنع الطريقة المادية فى الحديث ، فنتحدث عن " الكليات " بوصفها " أشياء " صحيح أن الطريقة المادية فى الحديث ليست خاطئة فى حد ذاتها ، لكن استعمالها فى الفلسفة كثير ما ضلل الباحثين ، للأسباب الثلاثة الآتية :

أولا : لأنها توحى بأن شيئاً ما قد قيل عن موضوع ما كائناً ما كان ، فى حين أن ثمة شيئاً آخر قد قيل عن بعض الكلمات أو بعض العبارات .

ثانياً : لأنها تعمينا عن هذه الحقيقة الهامة ألا وهى أن الجمل الفلسفية لا تدور إلا حول نسق أو نظام معين من اللغة ، أو عدد من الأنظمة اللغوية .

ثالثاً : لأنها تخدعنا فتجعلنا نتوهم أن ثمة تقريراً عن الواقع فى العبارة نحن بصددها ، بينما لا تكون ونحن فى الحقيقة إلا بازاء اقتراح لغوى أو مواضعه لغوية .

ولهذا فإن كارناب يدعونا إلى تحويلها من الطريقة المادية إلى الطريقة الصورية فى الحديث ، حتى نتجنب خطر الوقوع فى شتى مظاهر الخلط أو الالتباس .

ولنفترض مثلاً أن فيلسوفاً قال : " أن العالم مجموع الوقائع ، لا الأشياء " فإن فى استطاعتنا أن نترجم هذه العبارة إلى عبارة أخرى تقول :"إن العالم نطاق أو نسق من العبارات،لا من الأسماء

Scanned with CamScanner

ويضرب كارناب على ذلك أمثلة كثيرة ، نستخلص منها أنه يعتبر كل الجمل أو العبارات التى تدور حول الدلالة والمعنى هى جمل موضوعية زائفة ، وبالتالى فإنه لابد من ترجمتها أو تحويلها إلى عبارات تركيبية خالصة أو جمل بنائية صرفة .

ولعل هذا هو السبب فيما ذهب إليه كارناب من إن كل توضيح للمعانى لا يكاد يعدو عملية صياغة التركيب المنطقى " [١].

ويرى كارناب أننا نحدد صورة " أو شكل " تلك العبارات ، بالنظر إلى ما هو أكثر ملاءمة للغاية التى يرمى إليها العلم .

وتبعاً لذلك فإن التوضيح الفلسفى عند كارناب لا يكاد يعدو عملية صياغة البناء المنطقى .

وهذا ما حدا بكارناب إلى القول بأنه لابد من أن نستبدل بالفلسفة منطق العلم ، أعنى التحليل المنطقى للتصورات والعبارات المستخدمة فى العلم خصوصاً وأن منطق العلم ليس شيئاً آخر سوى البناء المنطقى للغة العلم [٢].

---

١ - Carnâp Alogical sgnical of lanuage S 1937 , fore word ,p.v.x - 111, P. 286 .

٢ - المصدر السابق نفس الصفحة .

Scanned with CamScanner

تعقيب على فلسفة كارناب :

هذه هى أهم الخطوط العريضة لفلسفة كارناب ، ولاشك فى أن بها كثير من الاتجاهات الخصبة والمحاولات المبتكرة التى تهم الباحث فى مسائل المنطق واللغة وعلم السيمانطيقا .

وعلى الرغم من أن نظرية كارناب فى الدلالة ومذهبه فى التركيب اللغوى قد استهدفا – حتى من جانب بعض الوضعيين المناطقة أنفسهم – العديد من الانتقادات ، إلا إن كارناب قد فتح المجال أمام كثير من الباحثين للخوض فى الدراسات المنطقية واللغوية الجديدة ، خصوصاً فى مجال بناء الأنظمة السيمانطيقية .

والواضح أن تشبع كارناب بروح الوضعية المنطقية قد حدا به إلى الاستهانة بآراء المعارضين له ، والاستخفاف بمذاهب غيره من الفلاسفة ، فكان تبسيطه المبتذل لكل الاتجاهات الفلسفية المناوئة لنزعته الوضعية المنطقية شاهداً على عجزه عن فهم روح تلك الاتجاهات .

وثورة كارناب على الفلسفة المثالية ليست سبباً كافياً للحكم على كل مشكلات هؤلاء الفلاسفة بأنها أشباه مشكلات وكأنما هى قضايا زائفة قد ابتدعها خيال هؤلاء الفلاسفة ، دون أن تكون لها أدنى جذور فى صميم الخبرة البشرية نفسها !

ربما كان من بعض محاسن فلسفة كارناب أنها قد أرادت أن تجنب الفكر الفلسفى أسباب الغموض ، وأن تدعو الفلاسفة إلى تحديد ألفاظهم وتحليل عباراتهم ، ولكنها حين حاولت أن تخلص العقل البشرى من أشباه المشكلات لم تلبث أن حصرت الفلسفة

Scanned with CamScanner

بأسرها فى نطاق ضيق لا يكاد يعدو " التحليل اللفظى " و " الأشكال اللغوية " ، وبذلك قضت على خصوبة الفكر البشرى وانتهت فى خاتمة المطاف إلى القضاء على الفلسفة نفسها ! فى حين أن الفلسفة فى كل زمان ومكان قد اهتمت بدراسة طبيعة العالم ، وتحديد العلاقات بين الفكر والواقع ، نجد أن كارناب (شأنه فى ذلك شأن فلاسفة الوضعية المنطقية) يستبعد كل هذه المشكلات بحجة أنها قضايا زائفة لا تنطوى على أى معنى .

لكننا مهما اعترفنا بقيمة " التحليل اللغوى " فإننا لن نستطيع أن نجبر الفكر البشرى على الوقوف عند هذه التحديدات اللغوية والتحليلات المنطقية لأن الفكر البشرى فى حاجة إلى فهم العلاقة القائمة بين نظام الأفكار وترابطها من جهة ، ونظام الأشياء وترابطها من جهة أخرى .

ولو أننا تصورنا الفلسفة على أنها البحث عن أكثر الحقائق أهمية فى حياة الإنسان الروحية ، ونظرنا إلى الفيلسوف على أنه الرجل الذى يحدد هذه الحقائق ويطورها وفق خبرته وحدسه ، لكان من واجبنا أن نرفض بكل شدة أى مذهب يستبدل بقضايا الفلسفة الحيوية الهامة ، برنامجاً هزيلاً لا يؤدى إلا إلى أجداب الفكر .

ولعل هذا ما عناه برجسون حينما كتب يقول :

" إن الفلسفة إذا لم تكن تستطيع أن تقول شيئاً عن أخطر الأسئلة التى تطرحها الإنسانية فإنها لن تستحق منا عناء ساعة واحدة " (١)

---

١ - أنظر مشكلة الفلاسفة للدكتور زكريا إبراهيم ص ٧٦ - ٧٧ ، ١٤٦ - ١٥٢ نشر دار العلم - مصر سنة ١٩٦٢ .

Scanned with CamScanner

الفصل الثالث
تقييم الوضعية المنطقية

قيمة الوضعية المنطقية :

الوضعية المنطقية – كما سبق – ترفض الميتافيزيقا وترى أن العبارات الدالة عليها فارغة من المعنى ، والحقيقة أن هذا القول بين البطلان ، لأن الإنسان لابد أن يتخذ موقف من ثلاثة ، أما أن يكون مؤمناً أو منكراً أو شاكا .

والمؤمن قبل إيمانه لابد وأن تساوره أفكار عن إمكانية عدم وجود ما يؤمن به مثل وجود الله وخلود النفس وما إلى ذلك من مسائل ما وراء الطبيعة ، وتفكيره فى هذه المسائل تدل دلالة واضحة على اهتمامه بها على الأقل فى بعض فترات حياته وإلا كان الإيمان به بديهياً ، وهذا غير صحيح .

وأما المنكر فإنه لابد وأن ساورته خواطر - قبل ثباته على الإنكار - عن إمكان وجود ما ينكره مثل وجود الله وخلود النفس أيضاً وكل مسائل ما وراء الطبيعة ، وإلا كان الإلحاد بديهياً وهذا أيضاً غير صحيح فالمعروف أن الإيمان والإلحاد ليسا بديهيين بدليل اختلاف الناس حولهما .

وأما الشاك فإنه بالفعل مشغول بأمور ما وراء الطبيعة أكثر من المؤمن والمنكر لأن عقيدته متأرجحة بين الإيمان والإنكار ، فهو لم يهتد بعد لأحد الطرفين حتى يقال أنه غير مهتم بهذه المسائل .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

وهكذا يتضح أن هذه المشكلات لـها وجودها النفسى والفكرى فـى نفس كل من المؤمن والمنكر والشاك ، ولا سبيل لإنكار وجودها – وجوداً نفسياً وفكرياً – فى نفس وعقل كل منهم [١] .

وقد يقال أن الوجود النفسى لهذه المسائل ليس أكثر من هواجس تدور فى عقول من يعيشون فـى عالم الوهم والخيال وليس لـهذه المسائل صلة بعالم الواقع على الإطلاق .

ويجاب على ذلك : بأن هذا القول يتنافى مع تاريخ البشرية منذ بدايتـها و إلـى اليوم ، ذلك التاريخ الذى يثبت أن المفكريـن لـم يستطيعوا أن ينفصلوا بتفكيرهم عن هذه المسائل الميتافيزيقيـة سواء نـافيين أو مثبتين ، وهذا يثبت أن الذيـن يتجـاهلون هـذه المسائل الميتافيزيقية قليلون جداً بشكل يجعلنا لا تلتفت إليهم . وليس هذا فحسب : بل أن تاريخ العقل البشرى يدلنا على أن الكثير من الباحثين كانوا يرون أن الوجود المجرد أثبت من الوجود الحسى ، وقد شاعت مثل هذه الفلسفات شيوعاً كبيراً ، وأثرت فى تاريخ الفكر الإنسانى ، ومن هؤلاء الفلاسفة :

" ابن سينا " و " ديكارت " وأمثالهما ممن أثروا فى تاريخ الفكر الإنسانى على مر العصور .

وليس أدل على ذلك من فلاسفة عاشوا فـى غمرة هذه الموجة العارمة ضد الميتافيزيقا وبالرغم من ذلك دافعوا عنها وأثبتوا

---

١ - أنظر التفكير الفلسفى فى الإسلام للدكتور سليمان دنيا ص ٤١ – ٤٣ ط ١ مكتبة الخانجى بمصر .

Scanned with CamScanner

أهميتها فى الحياة سواء العلمية أو العملية نذكر منهم على سبيل المثال برجسون ، بوبر .

فبرجسون مثلاً فى تفرقته بين الذهن والعيان – وهما مصدر المعرفة لكل من العلم والميتافيزيقا – نظر إلى الميتافيزيقا على أنها أسمى من العلم ، فالعيان هو نهج الميتافيزيقا يستطيع أن يخترق شتات الموضوع ويتخلص من كل رمز ويجاوز وجهات النظر الخاصة وبذلك تستطيع أن تدرك المطلق ، أما الذهن وهو عبارة عن التحليل فمعرفته نسبية وتتوقف على وجهات النظر الخاصة ، وعلى ذلك فالإنتقال من العيان إلى الذهن أمر ميسور ، أما العكس فعسير وعلى ذلك فالمعرفة الميتافيزيقية أسمى وأعمق من العلم [١] .

أما بوبر فقد أثار عدة أسئلة لمن دعا إلى استبعاد الميتافيزيقا هذه الأسئلة تدور حول تقدم العلم ومدى ذلك على الميتافيزيقا والفيصل بين الاثنين ودور التجربة الحسية فى قابلية أى كلام حتى انتهى إلى استبقاء الميتافيزيقا من أجل العلم نفسه ، فقد رفض أن يكون المنهج الاستقرائي معيار للتفرقة بين العلم والميتافيزيقا ودعا إلى معيار آخر وهو القابلية للتكذيب وهو قابلية النظام أو المذهب النظرى للتفنيد ، ثم أكد ضرورة الميتافيزيقا للعلم فهى تمده بالتخمينات والفروض التى تكسب صفة العملية بعد خضوعها للتفنيد والاختبار ، فلابد من تكامل بين العلم والميتافيزيقا ، فالفصل بينهما لايخدم العلم كما يقول الوضعيون المناطقة

---

١ - أنظر الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، محمود رجب ص ٢٤٩ ، ٢٥١ .

Scanned with CamScanner
تم تحويل هذا الملف بواسطة CamScanner

فالفروض بل الأساطير بعد تطورها قد تنشأ علما وتصبح عاملا هاما ومفيدا للعلم (١) .

حتى " كانت " الذى قال بعجز العقل البشرى عن الوصول إلى نتائج ميتافيزيقية عن طريق المنطق ، وقال بالنقائض المشهورة التى تترتب على الحديث عما وراء الطبيعة ، ويتمثل فى عدم قدرة العقل البشرى على الوصول إلى نتيجة بالنسبة لتناهى الكون فى الزمان والمكان أو عدم تناهيه وبالنسبة لوجود سبب أول العالم ، وعدم وجوده (٢) .

فإذا كان كانت قد أعلن عجز العقل البشرى عن الوصول إلى نتائج بالنسبة إلى ما وراء الطبيعة فإنه لم ينكر وجود الميتافيزيقا بل أقر بوجود موضوعها والتمس للوصول إليه طريقاً آخر يتمثل فى العقل العملى .

والوضعية المنطقية عندما استعارت نقائض " كانط " لتستعين بها على رفض الميتافيزيقا ، لم تلتمس طريقاً آخر تسلكه كما فعل " كانط " باتخاذه العقل العملى طريقاً ، بل قررت أن المشكلات الميتافيزيقية لا وجود لها فى الواقع .

واتجاه الوضعية المنطقية هذا الذى يضرب الآراء المختلفة فى المشكلات الميتافيزيقية بعضها ببعض ليرفضها جميعاً هو أشبه ما يكون بموقف السوفسطائيين الذين كانوا يعارضون المذاهب

---

١ - أنظر المرجع السابق ص ٢٣٤ ، ٢٤٩ .

٢ - أنظر فلسفة " كانط " إميل بوترو - ترجمة د . عثمان أمين ص ٢٠٢ - ٢٠٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ م .

Scanned with CamScanner
تم تحويل هذا الملف بواسطة CamScanner

الفلسفية بعضها ببعض ، كذلك كانوا يعارضون العقائد والأخلاق والعادات والتقاليد وشككوا فى المعارف والقيم مثل الحق والخير وغير ذلك .

الوضعية المنطقية تشبه السوفسطائية ، فهى بحق سوفسطائية القرن العشرين ، ووجه الشبه بينهما هو ضرب الوضعية المنطقية الآراء الفلسفية بعضها ببعض والخروج بنتيجة هى أن ما وراء الطبيعة ليس له وجود ومنه العبارات التى تدل على وجود كائن مطلق و الأخلاق والقيم على وجه العموم وهذا يتيح المجال لتبرير أتباع الشهوات .

والذى جعل الوضعية المنطقية تفعل ذلك هو أحد أمرين : أما عجز أصحابها عن الوصول إلى الحقيقة أو تكاسلهم فى البحث عنها ، والعجز أو الكسل لا يبرر إغلاق الباب فى وجه الآخرين الذين لديهم الاستعداد للعمل على الوصول إلى الحقيقة سواء عن طريق العقل النظرى أو عن طريق العقل العملى الذى قال به " كانط " .

إذن ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا له وجود فى النفوس والعقول ، وله وجود فى الواقع ولا يجوز إنكار ذلك .

وإنكاره يترتب عليه مخالفة طبيعة العقول البشرية [١] .

---

١ - أنظر نحو فلسفة علمية ص ٤٣ – ٦١ فى الجزئية الخاصة بإستغلال الوضعية المنطقية لنقائض (كانط) فى القول بأن هذه النقائض نشأت بسبب البحث فى الميتافيويقا نفسها ومن هنا يجب رفضها

Scanned with CamScanner

الوضعية المنطقية لا تستطيع التخلص من الميتافيزيقا نهائياً :

بالرغم من إنكار الوضعية المنطقية للموضوعات الميتافيزيقية إلا أنها لم تستطيع أن تطبق هذا المبدأ إلى النهاية ، بل أنها تورطت رغماً عنها فى الميتافيزيقا وأعطت أحكاماً ميتافيزيقية خالصة . مثل : الحديث عن حدود قدرة العقل أو الحواس على معالجة مشاكل ما وراء الطبيعة فهو حديث ميتافيزيقى .

يرى غير الوضعيين مثلاً : أن العقل الإنسانى مصدر من مصادر المعرفة وأن الحواس هى أيضاً كذلك وقد استطاع العقل أن يعطينا كثير من المعارف اليقينية . مثل الحكم بأن النقيضين لا يجتمعان و لا يرتفعان .

فحين قصرت الوضعية المنطقية قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة فى القضايا الإخبارية على الخبرة الحسية فقط .

أليس الحديث عن وسائل المعرفة فى الخبرة الحسية هو حديث ميتافيزيقى بحت ؟ وحصر وسائل المعرفة فى الخبرة الحسية هو أيضاً ميتافيزيقى .

و تورط الوضعيون فى مشكلة ميتافيزيقية أخرى . وهى تبرير الإدراك الحسى ، وتبرير المعرفة بغير المحسوس عن طريق الحواس .

مثل أن الإنسان يجيز لنفسه فى حالات كثيرة من حياته العقلية أن يقفز إلى نتائج لا تبرزها له المعلومات التى بين يديه .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

وليس هذا الأمر مقصوراً على استدلاله وجود شيء في الخارج ما دام قد وجد عنده إحساساً معيناً ، بل يتعداه إلى مجموعة أخرى من الحالات العقلية الشبيهة بحالات الإدراك الحسى فى ثوبها الظاهر من معلوم إلى مجهول مثل انتقال شخص من خبرة نفسية يمارسها الآن إلى حوادث يقول عنها أنها قد حدثت فى الماضى ، ومثل الاستدلال بسلوك معين لشخص ما على أحاسيسه النفسية الداخلية .

ومثل الإنتقال من الحالات الجزئية المشاهدة إلى قانون علمى عام . كل هذه أمثلة مختلفة لمشكلة منطقية واحدة وهى :

ماذا يبرر لنا أن نجاوز الخبرة التى نمارسها فعلاً إلى ما ليس منها ؟ [1] هكذا نجد الوضعية المنطقية غارقة فى مشكلة ميتافيزيقية وهى محاولة تبرير الإدراك الحسى ، والانتقال إلى معرفة ما هو غير محسوس عن طريق أشياء أخرى محسوسة ، فالبحث فى الإدراك الحسى والبحث فى عملية التذكر والاستدلال بالسلوك الظاهر على خفايا النفس ، ومحاولة البحث فى القوانين العلمية . كل ذلك بحث فى موضوعات ميتافيزيقية .

والوضعيون أنفسهم يعترفون بذلك ، فيقول زكى نجيب محمود : (ومن هذا القبيل مشكلة فلسفية أخرى – أى من المشكلات الميتافيزيقية – وأعنى مشكلة الإدراك الحسى بشيء ما ، فهل يجوز لى أن أحكم بوجود الشيء نفسه فى الخارج مع أن ما لدى

---

١ – المعقل التفكير الفلسفى فى اسلام ص ٧١ – ٧٢ .

Scanned with CamScanner

منه حاضرات حسية ؟ (١) .

ويجيب على هذا السؤال إجابة ميتافيزيقية ، فحواها : أن المشكلة إذا حلت فى أحد مظاهرها كان ذلك بمثابة حلها فى سائر المظاهر . ويبدأ بحل مشكلة الإدراك الحسى ، ويستعرض الآراء المختلفة فى حل هذه المشكلة :

ويبدأ فى المذهب الشكاك فيقول : أنهم يرون أن هناك فجوة بين الخبرة الحسية المتمثلة فى الحواس ، وبين ما هو خارجها .

وهم لا يرون مبرراً يجيز للإنسان أن يعدو ما عنده إلى ما ليس عنده ، وأن يجاوز خبرته التى يمارسها فعلاً إلى ما ليس جزء من تلك الخبرة .

ويلجأون إلى الاستنباط للوصول إلى معرفة يقينية عن مثل هذه الأمور . والدكتور " زكى نجيب محمود " لا يقرهم على ذلك بحجة أن الاستنباط لا يجدى شيئاً ، وأنه لا يقين فى المعرفة ، ويرى : أن الصواب هو الاستعانة بالاستقراء والاكتفاء بالرجحان الذى ينتجه (٢) .

ونقده هذا لمذهب الشكاك يحمل كثيراً من سمات الميتافيزيقا و لا يحل شيئاً من المشكلة ، فأما أنه يحمل سمات ميتافيزيقية : فلأنه يحكم بحصر قدرة العقل فى طلب المعرفة على تحصيل الرجحان بناء على استخدام الاستقراء فى حل المشكلة إلى جانب ما يترتب

---

١ - خرافة الميتافيزيقا ص ١٠ .
٢ - أنظر نحو فلسفة علمية ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ .

Scanned with CamScanner
تم تحويل هذا الملف بـ CamScanner

على ذلك من أحكام تقيميه للاستقراء و الاستنباط ، ومبلغ حجتـهما . وأما أنه لايحل المشكلة فلأن عملية الاسـتقراء ذاتـها يلـزم عليـها أن تقوم عن نتائجها . أنه قفز من المحسوس إلـى غير المحسـوس بدون مبرر ، لأنه قفز من الجزئيات إلى القانون العام .

وهو أمر لا يخضع للحس فتبقى المشـكلة كمـا هـى و لا يعطينـا الاستقراء بناء على ما قرر يقيناً و لا رجحاناً فمن الواضح إذن أن المشكلة لم تحل وأنه غرق فى الميتافيزيقا إلى حد بعيد .

وينتقل إلى رأى الحدسيين فى حل مشكلة الإدراك الحسى حيـث أنهم (يسدون الفجوة التى أشار إليها الشكاك وقالوا عنها أنها قائمة بين المُدرك ، والمُدرَك ، وأنها فى الوقت نفسه مستحيلة العبور .

يسد الحدسيون هذه الفجوة فلا فاصل عندهم بين الذات المُدركـة والشـىء المدرك بالحسى لأن تلك الذات إنما تمس الشـىء المـدرك مساً مباشراً (١) .

ويرى : أن الحدسيين يحلون المشـكلة بإنكارهـا . ويرفـض رأى الشكاك والحدسيين معاً . لأن كلاً منهما متطرف : فالشكاك يقفـون عنـد معطـاهم الحسـى و لا يتجاوزنـه إلـى مـا عـداه . والحدسـيون ينكرون أن لا يكـون لـهذا المعطـى الحسـى وجـود ، و لا يجعلـون بينهم وبين الشىء الخارجى حلقة وسطى (٢) .

ويلاحظ على رده على الحدسيين أنه ينعى عليهم حـل المشكلة

---

١ ـ نحو فلسفة علمية ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
٢ ـ أنظر المصدر السابق ص ٢٠٢ .

Scanned with CamScanner

تجاهلها وهذا يستحضر إلى الأذهان أن الوضعيين المنطقيين يحاولون مشكلة الميتافيزيقا بإنكار موضوعها .

وهذا يجعلنا نقول : أنه قد تورط فيما رفضه إلى جانب أنه أعطى أحكاماً تتمثل في أن الحدسيين والشكاك كلاهما متطرف وهذا كله يعطى : أنه قد تثور فى أبحاث ميتافيزيقية .

ويعرض أيضاً وجهة نظر ثالثة وهى وجهة نظر الظاهريين التى ترى أنه لا فرق بين الشيء الخارجى المدرك وبين معطياته الحسية بعد تركيبها فى الداخل تركيباً عقلياً . فهى تخالف الحدسيين والشكاك ، فلا هى (تزيل المعطى الحسى كما يزيله الحدسيون ، حتى لا يكون ثمة حاجز بين الذات المدركة والشيء الخارجى المدرك . و لا هى تعترف بوجوده لكنها – كما يفعل الشكاك – تنكر إمكان التسلل من خلاله لإدراك ما هو قائم خارج الحدود [١] .

ويعرض دكتور " زكى نجيب محمود " وجهة نظر أخرى وهى الرابعة لحل المشكلة ، وفحواها : " أن هناك فجوة بين الذات المدركة والشيء المدرك لكن عبورها ممكن . وتعترف بمصدر المعطيات الحسية ، بكون علة انبعاثها إلى الحواس فتطبع عليها – وهو الشيء المدرك – وعلى هذا الأساس نفسه تستطيع أن تفسر الحالات الإدراكية الأخرى فيمكن أن أعلم أن لصاحبى عقلاً وراء سلوكه الظاهر بناء على عملية استدلالية تقوم على أساس التمثيل .

---

١ - نحو فلسفة علمية ص ٢٠٢ .

Scanned with CamScanner
ليس هو هو I CamScanner

ومؤدى هذه الطريقة قياس الآخرين على نفسى : فكما أن سلوكى منبعث من عقلى فكذلك سلوك الآخرين يشبه سلوكى .

ويمكن العلم بالماضى عن طريقة ما لدينا من حوادث حاضرة على أساس الاستدلال الاستقرائي الاحتمالي النتائج .لا الاستنباطي اليقينى ، ويمكن الوصول إلى القانون العام مستعينين بالمشاهدات الجزئية عن طريق الاستدلال الاستقرائي الإحتمالى الراجح لا اليقينى .

فنتنبأ بالحوادث المستقبلة على أساس الاحتمال الراجح بناء على فرض راجح أيضاً هو : إضطراد حوادث الطبيعة على نسق واحد[١] .

ويصرح " زكى نجيب محمود " أن بعض هذه الحلول يوافق عليها الوضعيون المناطقة ، فيقول : (وموقفنا نحن الوضعيين المنطقيين – إزاء هذه الإجابات الأربع – هو موقف يوحد بين الإجابتين الثالثة والرابعة) [٢] .

إذا كان الوضعيون المناطقة يوافقون على وجهة النظر الرابعة فإننا سوف نناقش وجهة النظر هذه ونحددها فى نقاط .

١ – وجهة النظر هذه تفترض أن هناك وجوداً خارجياً واقعياً منفصلاً عنا ، وأنه هو المصدر الذى تنبعث منه أحاسيسنا .

وقد ساق صاحب كتاب " نحو فلسفة علمية " هذه القضية ولم

---

١ - أنظر نحو فلسفة علمية ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .
٢ - المصدر اليابق ص ٢٠٤ .

يبين الأسس التى قامت عليها بالرغم من أنها فى حاجة الى دليل ، لأنها ليست بديهية ، لأنها لو كانت بديهية لما إختلف الناس حولها .

والواقع غير ذلك فقد اختلفت حولها الآراء كما رأينا فى الاراء الثلاثة السابقة .

وهو نفسه يعترف بأن (الإحساس باللون لا يدل حتما على أن الشىء الملون موجود فى الخارج بدليل أننا نتوهم أشياء ثم يثبت لنا أن ليس لها وجود) [١] .

هذا إلى جانب شكوك بعض الفلاسفة حول ما تنقله إلينا الحواس من أمثال " ديكارت " و " رسل " و " الغزالى " وهكذا يتضح أن القضية ليست مسلمة ولكنها تحيط بها شكوك كثيرة .

٢ – وبالرغم من ذلك فإنه يتخذ منها أصلا يفسر به الحالات الإدراكية المختلفة ، فيفسر به أولا عقول الآخرين من وراء سلوكهم الظاهر بناء على أن له عقلا يترجم سلوكه هو الظاهر بعملية استدلالية تقوم على أساس التمثيل ، بناء على تشبيه الشخص الملاحظ فى أن كلا منهما له سلوك ظاهر ينبعث عن عقل .

وأول ما نلاحظ هنا : أنه يعترف بوجود العقل غير المحسوس وقد دأب بلسان الوضعية المنطقية على رفض كل ما هو غير

---

١ - تحو فلسفة علمية ص ٢٠٢ .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

محسوس ، وبالرغم من ذلك اضطر إلى الاعتراف بموضوع ميتافيزيقي دون أن يدري [١] .

وعلى أية حال فإن الوضعيين المنطقة قد اختاروا الرأي الثالث والرابع ووقفوا بينهما ، والفرق بين هذين الرأيين هو : الرأي الثالث : لا يعترف إلا بوجود المعطيات الحسية ويرفض وجود أشياء خارجية ، أما الرأي الرابع : فلا يعترف إلا بوجود الإحساسات المتطابقة على الحواس ، ويعترف بوجود الأشياء الخارجية [٢] .

فالأولى تنفي وجود أشياء خارجية ، والثانية تشترط وجود أشياء خارجية ، فهما متناقضان ، تشترط أحدهما وجود ما تشترط الأخرى عدمه فكيف يمكن الجمع بينهما ، ثم ما هو القدر المشترك بينهما الذي يحرص على استخلاصه منهما ، أنه إن كان يريد المعطيات الحسية وحدها ، فمذهب الظاهريين فيه هذا القدر .

وإن كان يريد المعطيات الحسية ومقابلها الخارجي ، فمذهب الواقعيين فيه هذا القدر . فما الذي يدعو إلى الجمع بين المذهبين ؟

أنها - فلسفة الوضعيين - فكل واحد من المذهبين - الثالث والرابع اللذين اختارهما ليمزج بينهما ويخرج من هذا المزيج بمذهب واحد - ينقصه الأقدام التي يقف عليها ، فالقصار الظاهريين على المعطيات الحسية ، ونفي الواقع الخارجي يحتاج

---

١ - أنظر المصدر السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

إلى دليل ، واعتراف الواقعيين بالواقع الخارجي زيادة على المعطيات الحسية يحتاج إلى دليل [١] .

تهافت مبدأ الوضعية المنطقية :

هناك اعتراض قوى ضد الوضعية المنطقية ، فحوى هذا الاعتراض : أنه بناء على المعرفة الصحيحة فى نظر الوضعية المنطقية نوعان فقط هما الرياضة والعلوم الطبيعية .

والوضعيون المنطقيون يتبعون " هيوم " فإن عبارة هيوم والعبارات المماثلة التى تحصر المعرفة فى هذين النوعين من المعرفة فقط ، عبارات لا تدل على الخبرة الحسية ، وليست من العبارات المستعملة فى الرياضة ، فكيف تكون عندئذ عبارات صحيحة ذات معنى ؟ .

ويجيب الدكتور " زكى نجيب محمود " على ذلك مرتين ، مرة فى كتابة " خرافة الميتافيزيقا " سنة ١٩٥٣ ، والأخرى فى كتاب " وجهة نظر " سنة ١٩٦٧ أثناء مناقشته للعقاد . فيقرر : أن مثل هذه العبارات ليست تجريبية ولا رياضية ولكنها منطق أو تحليل يستخدم لتحليل العبارات التى يقولها المتكلمون والكاتبون ، ومن حق السامع أو القارئ أن يستوثق من صدق ما يسمعه أو يقرءوه .

ويحصر الطرق الصحيحة إلى المعرفة الصحيحة فى طريقين ، فيقول : (وليس أمامى إلا هذان الطريقان فى التحقيق من صدق ما يقال : طريق مراجعة الاستدلال الاستنباطي فى حالة العلوم

---

١ - أنظر التفكير الفلسفى الإسلامى للدكتور سليمان دنيا ص ١١٠ .

Scanned with CamScanner

الرياضية ، وطريق مراجعة المشاهدات للعالم الواقع فى حالة العلوم الطبيعية ، ومن أجل ذلك قبلت ما يقوله الرياضيون وعلماء الطبيعة) [١] .

ونقول للدكتور " زكى نجيب محمود " أن التناقض قائم فعلاً . فالوضعية المنطقية تقول : أن المعرفة الممكنة منحصرة فى قضايا الرياضة ، وقضايا العلوم التجريبية .

وهذه العبارة التى تحصر المعرفة الممكنة فى هذين النوعين من القضايا لابد من أن تكون خاضعة لنفس المبدأ حتى تكون معرفة ممكنة ، وإلا كان الإصرار على تطبيق هذا المبدأ تحكماً لا مبرر له .

والدكتور "زكى نجيب محمود " يستثنى هذه العبارة استثناء تعسفياً ، ويقول : أنها منطق ، والمنطق لا يخضع لمثل هذه المقاييس . إن هذا قد يسلم له لو أن المنطق الوضعى كان معترفاً به من الجميع ، أو من الغالبية العظمى على الأقل ولكن الواقع غير ذلك .

ولجوء الدكتور " زكى نجيب محمود " إلى المنطق ليحتمى به من تهمة التناقض لا يكون صحيحاً إلا عندما تكون مبادئ المنطق ثابتة ومتفقاً عليها من الجميع .

وكيف و الحال غير ذلك ؟ فإن مبادىء المنطق الوضعى ليست متفقاً عليها لأنها ليست وحدها فى الميدان ، فهناك المنطق

١- حر افه الميتافيزيقا ص ٢١

Scanned with CamScanner

البراجماتى وهو أكثر منها شيوعا لأن معظم النظم التربوية أخذت " بنظرية جون ديوى " فى التربية .

ومن أهم المبادئ التربوية الديوية مساهمة الإنسان فى خلق الحقائق والمبادئ ، ومنها المبادىء المنطقية ، وليس المنطق الوضعى والمنطق الديوى وحدهما فى الميدان .

بل لا يزال هناك من يؤمن بمنطق أرسطو وما تفرع عليه . المنطق الوضعى إذن ليس سيد الموقف فى الميدان .

هذا كله يسمح لنا بالقول : إن التناقض قائم فعلاً . وأن استثناء الدكتور " زكى نجيب محمود " للعبارة التى تحصر المعرفة الممكنة فى عبارات الرياضة ، والعلوم التجريبية – على أنها منطق – استثناء تعسفى .

ولهذا لجأ إلى توضيح موقفه بضرب الأمثلة التى لا تغنى شيئاً فى النقاش الفلسفى .

وأنصار الوضعية المنطقية يحسون بضعف موقفهم بازاء هذا التناقض وليس أدل على هذا من عبارات " فتجنشتين " أن ما قد أوردته فى الكتاب من قضايا يدل على أن من يفهمنى سيرى فى النهاية أن تلك القضايا ليست بذات المعنى ، وذلك بعد أن يكون قد صعد على سلمها وخطا على درجاتها ، وأصبح فوقها . فيجب أن يقذف بالسلم – إن صح هذا التعبير – بعد أن يفرغ من استخدامه لصعوده [١] .

---

١ ـ خرافة الميتافيزيقا ص ٢٨ ، كذلك وجهة نظر للدكتور زكى نجيب محمود ص ٢٦ – ٢٧ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٧ م ، أنظر أيضا الفكر المادى الحديث ، دكتور محمود عتمان ص ٤٦ : ٤٦٣ ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر سنة ١٩٨٤ .

Scanned with CamScanner

ثبت المصادر

- اتجاهات فى الفلسفة المعاصرة ، عزمى إسلام (ط ١ وكالة المطبوعات الكويت) .
- التفكير الفلسفى فى الإسلام ، دكتور سليمان دنيا (ط١ مكتبة الخانجى مصر) .
- الفكر المادى الحديث ، دكتور محمود عتمان (الدار الإسلامية للطباعة والنشر سنة ١٩٨٤ م) .
- المدخل إلى الفلسفة ، أزفلدكوليه ، ترجمة أبو العلا عفيفى (مطبعة التأليف والنشر والترجمة) .
- المعجم الفلسفى ، عبد المنعم مراد (ط١ الدار الشرقية) .
- المعجم الفلسفى ، مراد وهبه (ط٣ دار الثقافة الجديدة سنة ١٩٧٩ م) .
- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها من الإنجليزية فؤاد كامل ، جلال العشرى ، ، عبد الرشيد الصادق ، راجعها وأشرف عليها وأضاف لها شخصيات إسلامية دكتور زكى نجيب محمود (دار القلم ، بيروت ، لبنان) .
- الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين (ط٢ دار المعارف سنة ١٩٨٦ م) .
- تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ، يوسف كرم (دار القلم ، بيروت لبنان سنة ١٩٧٩ م) .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

- تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم (دار القلم ، بيروت ، لبنان) .

- تاريخ الفلسفة العربية ، حنا الفاخورى ، خليل الجر (ط٢ دار الجبل ، بيروت سنة ١٩٨٢ م) .

- تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم (دار القلم ، بيروت ، لبنان) .

- حياة الفكر فى العالم الجديد ، دكتور زكى نجيب محمود (ط٣ دار الشروق) .

- خرافة الميتافيزيقا ، دكتور زكى نجيب محمود (مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٣ م) .

- دراسات فى الفلسفة المعاصرة ، دكتور زكريا إبراهيم حـ١ (الناشر مكتبة مصر) .

- فلسفة (كانط) إميل بوترو ، ترجمة دكتور عثمان أمين (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ م) .

- قصة الحضارة ، ول ديوارت ، ترجمة محمد على أبو ريده مراجعة على أدهم (بيروت دار الجبل) .

- ما هى الوضعية (مقال ضمن الكتاب التذكارى) جامعة الكويت سنة ١٩٨٧ م .

- مشكلة الفلسفة ، دكتور زكريا إبراهيم (دار القلم القاهرة سنة ١٩٦٣ م) .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

- معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، أحمد زكى بدوى (مكتبة لبنان بيروت) .

- مقدمة لكل ميتافيزيقا يمكن أن تعد علماً ، كانت ، ترجمة نازلى إسماعيل ، مراجعة عبد الرحمن بدوى (دار العلم بيروت سنة ١٩٦٥ م) .

- موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوى ، حـ ٢ (ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٨٤ م) .

- موقف من الميتافيزيقا ، دكتور زكى نجيب محمود (ط٣ دار الشروق سنة ١٩٨٧ م) .

- نشأة الفلسفة العلمية ، هاينزيشنباخ ، ترجمة دكتور فؤاد زكريا (دار الكتاب العربى للطباعة والنشر سنة١٩٦٨ م) .

- نقد العقل المجرد ، كانت ، ترجمة أحمد الشيبانى (دار اليقظة بيروت سنة ١٩٦٠ م) .

- نقد العقل الوضعى ، عاطف أحمد ، تقديم إبراهيم فتحى (ط١ دار الطليعة بيروت لبنان سنة ١٩٨٠ م) .

- وجهة نظر ، دكتور زكى نجيب محمود (مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٧) .

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner